

يوم الأربعاء

يوم الأربعاء

الفاضل الشيخ عبد الحي آل مرهون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

الواعظ المتعظ، والعالم العامل، المغفور له الشيخ عبد الحي المتوفى يوم العشرين من شهر صفر سنة ١٣٦٦هـ، ابن المرحوم منصور بن صالح المرهون (رحمهم الله).

وقد جاء في ترجمته في مقدّمة كتابه (يوم الأربعاء) أنّ مولده الميمون كان في حدود العقد الثاني، بعد الثلاثمئة والألف هجرية، ونشأ على حب الفضائل ومكارم الأخلاق، والاتّصاف بالصفات الشريفة. وبدأ تعليمه في كتاب المعلم الحاج يحيى ابن الحاج ناصر آل محمد علي المتوفى في حدود ١٣٣٧هـ تقريباً. وبدأ يقرأ الكتب الفقهية والقواعد النحوية على يد ابن عمّه العلامة الشيخ منصور المرهون رحمهم الله، وهاجر معه إلى النجف الأشرف، وأقام هناك أكثر من سنة، متلمذاً له. ثم عاد إلى الوطن، وواصل دراسته على يده، وأحياناً على يد الحجّة الشيخ محمد بن ناصر آل نمر القطيفي العوّامي المتوفى سنة ١٣٤٨ / ١٠ / ٩هـ. وما برح حتّى نال فضيلة مرموقة. وكان حسن النكتة طيب المجالسة.

ألّف كتاب (فاجعة الأربعاء)، ومن الصّدف الغريبة أنّه توفي في ذلك اليوم الذي ألّف فيه الكتاب، وهو يوم العشرين من شهر صفر عام ١٣٦٦هـ، وكان هذا اليوم يوم عطلة، وأهل قريته كلّهم مجتمعون غير متشاغلين بأي شيء إلاّ بقراءة كتابه الذي ألّفه لهذا اليوم. فلما فوجئوا بنبأ موته، اجتمعوا كلّهم، وشيّعوه بتشيع باهر منقطع النظر في قريته. فلما وضعت الجنازة، نادى بعض الثاقلين بفقده: يا شيخ، هذا يوم الأربعاء، وهذا كتابك، وهؤلاء المستمعون مجتمعون، فقم وقرأ لهم يرحمك الله. ففجع الحاضرون، وغلب عليهم الوجد والأسى،

وارتفعت صرختهم، وعلت زفرتهم. (تعمّده الله بالرحمة والرضوان؛ إنّه كريم منّان). وكان له نظم في أهل البيت عليهم السلام، ومنه قوله رحمته بعنوان:

زينب تشكو لحسين عليه السلام

سلبوا احريمك يخويه گوم ياراعي الشيم
يا عمود الخيمه شبوا نار في وسط الخيم
امن الهضم گلبي تفطّر يابن أمي يا شهيد
اشلون صبري وانا اشوفك عاري محزوز الوريد
وانظر اخواني ضحايا امجزرين اعلى الصعيد
وجابوا الهزل اوضجت هاليتامى والحرم
مادريت ابحال إختك يبن أمي لو دريت
من خذوني فوگ ناگه او بالجمال اتكتفت
يشتموني من أنخي او يضربوني ليبيكيت
اشلون ترضى غيرتك يحسين ياراعي الشيم
ماشفت حرمه ابعيله وايتامى سافرت
مثل أختك يبن أمي ابهالحریم اتممرت
امن المصايب والحزن يا خوي چبدي اتفطّرت
انحل اعظامي مصابك وبالضرب متني ورم

هلال المحرم

هليت وانهل الدمع يا شهر عاشور
بيك انظفي اسراج النبوه واظلم النور

بيك الشهيد احسين ظل مرمي بلطفوف
وبيك البطل عباس ظل مكطوع لكفوف
او لكبر سبيط المصطفى امكطع بلسيوف
وجاسم العريس او غابت ذيك لبدور
في شهر عاشور انذبح شيخ العشيره
اوخوه البطل عباس وابدور المنيره
اوظلت بعدهم زينب الحورا أسيره
ويلى عليها من لفت للمعركه اتدور
او شافت اخوها احسين بالتربان ممدود
اوعباس شيال العلم مكطوع لزنود
او باغي بني هاشم ضحايا بالثرى ارگود
ظلت اتنادي او من نداها اتصدع لصخور
خوتي يفرسان الحرب يگروم لسباع
راحت ودايعكم يسر وانتو على الكاع
ترضون زينب باليسر حسرى بلا اگناع
او ترضو عليها اتروح مسبيه على كور

الحسين عليه السلام في مجلس الوليد

من بعث لحسين واستدعاه بالليل الوليد
عرف لنه ايريد منه ايباع الطاغى يزيد

احسين يأبى الضيم ما تصبر على الذل شيمته
نده فرسان الهواشم أهل بيته او عزوته
والنشامى بالعجل حضروا يلبو دعوته
غالوا شتامر علينا گول نفعل ما تريد
غال يا فرسان يا شجعان يكرام لنساب
أريد حملوا اسلحكم وياي تمشوا يلطياب
لي دخلت اعلى الوليد انتوا تكونوا على الباب
ليسمعوا الصوت هجموا فرد هجمه اعلى الوليد
وحگ رداد الشمس واللي نزل بير العلم
مخنا ذلّه للعدا كلاً ولا اعتدنا الهضم
طيه انزلزها ونخلي ابها اصياح او لطم
الشمس نكسفاها او هالساعه يجي راس الوليد
اتمطى بو فاضل على سيفه او ذبّ اعمامته
او نبض عرگ الهاشمي ابو جهه اورفت رايته
گله خويه هالنذل ماينال منا رادته
الموالي احنا يخويه اشلون تملكننا العبيد
حنّا ما نرضى الهضاييم والذي لينا يروم
نوطي الذلّه يجي الموت عمري لا يدوم

كان للبيعه الوليد ارسل لك اتبايع لزوم
عزّ نفسك وانتخي حنّا ترى كلنا عبيد
حنّا روس العرب ما نصبح ييو سكنه اذئاب
والضواري ما اتگود الها من الغابه كلاب
لا تظن الي سگاها يوم صفين العذاب
غاب في گبره يرد اليوم صفينه جديد
او لويو السجاد ترخصني او تعطيني الأمر
كان يوم العيد يوم الي أگّحم بالأمر
غاير اعلى الشام اجدّهم معاصير الخمر
شبل حيدر ابد ما ينگاد طابع حگ يزيد
هلهمت زينب عسى عمرک ييو فاضل طويل
مَن أخوه انته فلا يعطي العدا بيده ذليل
انشا الله دمعي ابسلامتکم ابخدي ما يسيل
والعدو بالغیظ گلبه ما برح مملي وگيد
سعد زينب في سلامتکم يفرسان الحرب
گبل ما ايصكّ الدهر راسي او تولاني الغرب
وارفل ابذل السبي وايسودّ امتوني الضرب
وانسلب عمري عسى ما يطول من بعد الشهيد

للذوايب سرح ابكتفه أو بسّم للثغر
لا تحني يا مصونه واحنا في مدّ العمر
خلي نوحك للظعينه اللي بيارها زجر
ويل غلبي حين تمضي وانا في حرّ الصعيد
غام ابو سكنه او مشى اتحفّه الضياغم والغروم
اتساطعش شبان كلهم ما حلا ذيك لرسوم
اتگول هو البدر يسري وهم من حوله نجوم
من وصل وگفوا على الباب او دخل عند الوليد

أربعون الإمام الحسين عليه السلام والهدف الرسالي

إن من يقف على قبر الإمام الحسين عليه السلام في مثل هذا اليوم - وهو ذكرى العشرين من صفر - سوف يستوحي منه حتماً كل تلك القيم والمفاهيم الكبيرة السامية؛ ذلك أنه إذ يقف على قبر هذا الثائر العظيم فهو حتماً لا يريد أن يقف ليلمح جسداً مرّ في هذه الدنيا مرور الكرام، أو يلمح ذلك المعدن الذي يحيط بذلك الجسد، بل إنه يريد أن يلمح جسداً تمرّد على التراب، ويناجي روحاً تمردت على الفناء، ويستوكف عطاءً أبقى إلا الخلود؛ كونه عطاءً كبيراً لا حدود له، فهو عطاء كبير بحجم تلك التضحيات، وحجم ذلك الدم المقدس الذي أريق على تراب تشرف وتطهر وتقدس بملامسة جسد هذا الإمام الثائر العظيم، وذلك الهدف السامي المفدى.

وهذا يعني أن زائر هذا القبر إنما يريد أن يجعل منه محطة لكل القيم والمبادئ التي نادى بها السماء، ومهبطاً لكل المنظومة الأخلاقية التي أبرزت معالمها السماء، وحددت ملامحها على لسان سيد الأنبياء وخاتمهم، نبينا الأكرم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله.

إن الإمام الحسين عليه السلام ليس مجرد إنسان ثار على حاكم عصره ثم قتل ودفن في بقعة ما من بقاع الأرض، بل إن الأمر معه يأخذ أبعاداً ومنعطفات أكبر

وأسمى في عالم الثورات والتضحية والتغيير. إن ثورته المباركة في واقع الأمر أبعد من هذا الحدّ، فهي حركة إصلاحية ذات جذور ضاربة في عمق العقيدة، وأبعاد كبيرة تنساب بين النفوس والقلوب لتبلغ تخوم تلك الأنفس اللاهثة وراء الحقيقة، والمتحركة طلباً للحرية وشوقاً للكرامة، والمتعطّشة إلى التغيير.

وهذا الموقف بحدّ ذاته يمثل بعداً تربوياً وأخلاقياً، فضلاً عن كونه بعداً عقيدياً في بادئ الأمر، ومن خلال هذا البعد - كما غيره من الأبعاد الأخر إن شاء الله تعالى - نستطيع أن نستشف ما وراء ثورة الإمام الحسين عليه السلام من قيم وأخلاقيات، وما تنطوي عليه من أهداف كامنة خلف نهضته، ونستبين الوضع الذي انتهى فيه وإليه عليه السلام.

محاولات تجييد نهضة الإمام الحسين عليه السلام وتجييمها

من هذا التقريب المبني على خطورة هذه الحركة السماوية في نظر البعض نجد أنهم قد سعوا جاهدين إلى عرقلة سيرورة آثار هذه النهضة الحسينية في الناس من خلال خلق محاولات عديدة وشتى وجهت نحوها؛ لإبرازها للآخرين، وتصويرها لهم بصورة غير واقعية، بل صوّروها على أنها حركة آنية تستهدف الدنيا، وتسعى وراء أهداف مادية رخيصة؛ ولهذا فإنها لم تكن بذلك اللون ولا على ذلك النمط من الخلود والبقاء اللذين يحاول مؤيدو هذه الثورة وهذه النهضة إضفاءهما عليها وإبرازها فيها. ومن هذه المحاولات:

الأولى: دعوى أن الإمام الحسين خارج على إمام زمانه!

فمن هذه المحاولات الموجهة والمقصودة، والتي يهدف منها تشويه صورة هذه النهضة الإلهية المباركة سعي البعض تحت رعاية السلطات في كل حين،

أربعون الإمام الحسين عليه السلام والهدف الرسالي ١٥

وبمباركتها ودفعتها ودعمها المادي والمعنوي - من خلال أدبياتها وخطاباتها السياسية وتكرار هذا اللون من التشويه المتعمد في محاولات يائسة لدحض مفاهيم هذه الثورة، واستقطاب عدد كبير من أبناء المجتمعات الإسلامية وغيرها ناحيتها؛ حتى تستدرّ عواطف الناس، وتحصل على تأييدهم ودعمهم - إلى إظهار الإمام عليه السلام على أنه باغٍ على يزيد؛ لأن يزيد - بما أنه الحاكم والسلطان الفعلي - فهو الخليفة الشرعي؛ فمن يخرج عليه، فهو باغٍ. فالحسين عليه السلام إذن خارج باغٍ على السلطة الشرعية؛ فهو عليه السلام ليس ثائراً، ولا طالباً للحق.

الأحاديث الواردة في حق الحسين عليه السلام

ولابد للإنسان المعتدل التفكير، والسوي السلوك والأخلاق، والمنصف أن يشجب مثل هذا المنطق الذي يتنافى مع ثوابت القرآن الكريم، ومع كون المرء ممن يؤمن بالله تعالى، وبرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله، وباليوم الآخر سيّما مع ما ورد في فضله عليه السلام من أحاديث نذكر منها:

١- من آذاه عليه السلام فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله

إن من لوازم الإيمان أن يؤمن المرء بأن إيذاء الحسن والحسين عليهما السلام هو إيذاء للرسول صلى الله عليه وآله؛ بلحاظ أن آذاهما أدى للزهراء عليها السلام التي قرر صلى الله عليه وآله أن آذاها أدى له، كما وردنا عنه صلى الله عليه وآله من أحاديث منها قوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني»^(١).

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٠، وانظر: مسند أحمد ٤: ٥، صحيح مسلم ٧: ١٤١، الشفا (القاضي عياض) ٢: ٢٣٠، أمالي أبي نعيم: ٤٥، ينابيع المودة ٢: ٤٧٨ / ٣٤٠.

٢ - الحسنان عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة

وتواترت كذلك الأحاديث النبوية الشريفة الناصّة على أنه وأخاه الإمام الحسن عليهما السلام «سيدا شباب أهل الجنة»^(١).

٣ - الحسين جزء من رسول الله صلى الله عليه وآله

كما وردت كذلك أحاديث شريفة تنصّ على كونه عليه السلام جزءاً من نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، منها قول نبينا الأعظم عليهما السلام: «حسينٌ منّي وأنا من حسين»^(٢).
فمن يؤمن بالله تبارك وتعالى إلهاً، وبرسوله الأكرم محمد عليه السلام نبياً، وبالإسلام ديناً، لا بدّ له من أن يؤمن بهذه الأمور الثلاثة المشار إليها، ولا بدّ من أن يؤمن بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله ومن ضمنه توصيته المقدسة بأهل بيته بناء على توصية القرآن الكريم^(٣) بهم.

تبرير البعض قتل يزيد الإمام الحسين عليه السلام

إن الهدف من تصوير الإمام عليه السلام على أنه خارج على السلطة الشرعية هو إضفاء مسحة سهاوية وصبغة شرعية على سلطة يزيد؛ حتى يبرّر له مرقه عن

(١) انظر: فضائل الصحابة (أحمد بن حنبل): ٢٠، ٥٨، ٧٦، مسند أحمد ٣: ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٢، ٥: ٣٩١، ٣٩٢، سنن ابن ماجة ١: ٤٤، الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ٥: ٣٢١، ٣٢٦، المستدرک على الصحيحين ٣: ١٦٧، ١٦٧، ١٦٧، ٣٨١.
(٢) انظر: المستدرک على الصحيحين ٣: ١٧٧، المصنف (ابن أبي شيبة) ٧: ٥١٥.
(٣) قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. الشورى: ٢٣.

أربعون الإمام الحسين عليه السلام والهدف الرسالي ١٧

الدين، وخروجه عن ربة الإسلام الحنيف. وبهذا يكونون قد منحوا يزيد مكان الإمام ومكانته وهما الخلافة والإمامة الشرعية والولاية الإلهية، بعد أن سلبوهما من الإمام بهذا الوصف. كما أنهم يسلبون يزيد صفته التي ينبغي أن يوصف بها وهي مروقه على السلطة الشرعية، واستيلاؤه عليها بالقوة والسيف والتوريث والمكر والخداع، وهي حق لأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله.

محاولات وأد ثورة الإمام الحسين عليه السلام

مرّت هذه الحركة المباركة خلال مسيرتها التاريخية بأدوار حرجة بذل البعض فيها محاولات حثيثة لوأدها وقتلها، نذكر منهم:

١- شبت بن ربيعي

وشبت بن ربيعي هو الذي استدعاه عميد الله بن زياد، وأحضره إلى مجلسه، ليحاول أن يستنفع منه فتوى يضيفي من خلالها مشروعية على تحركه ضد المؤسسة الرسالية المتمثلة بالإمام الحسين عليه السلام وبحركته، فقد استدعاه في يوم من الأيام قبل أن يتحرك ذلك التحرك ليقول له: ما تقول فيمن يخرج على إمام زمانه؟ قال: من يخرج على إمام زمانه فهو باغ. فقال ابن زياد: حتى ولو كان الحسين؟ قال: حتى ولو كان الحسين. فأخرج له كتاباً وقال له: امض على هذا الكتاب، أي ضع توقيعك عليه.

٢- ابن العربي

ومن أدلى بدلوه في هذا المجال ابن العربي، فقد ادّعى هذا المموه أن الإمام الحسين عليه السلام إنما قتل بسيف جده صلى الله عليه وآله؛ مستنداً بهذا إلى حديث عنه صلى الله عليه وآله نهي

فيه عن الخروج على أيمة المسلمين، بل إنه ﷺ أمر بقتل الخارج عليهم، ويزيد هذا إمام المسلمين؛ فيكون ﷺ قد خرج على إمام زمانه؛ فاستحقّ القتل بسيف جدّه^(١).

كل ذلك ليكون له دور ومساهمة في تلك الحركة الطويلة، والسلسلة غير المتناهية التي ما فتئت - منذ أن قامت ثورة الإمام الحسين ﷺ وحتى يومنا هذا - تسعى وتتحرك لوأد هذه الحركة وخنقها وإماتتها؛ حتى لا تشرق شمسها على قلوب طالبي الحرية، ولا يبيزغ فجرها في سماء أصحاب الحق.

موقف ابن ربيعي وابن العربي على ضوء المنطق

إنّ هذا الحكم الذي أصدره شيبث وابن العربي هذان هو حكم مبتنٍ على قياس منطقي يحتاج إلى إقامة الدليل على صغراه وإن سلمت كبراه.

النقاش في صغرى القياس

إن الخروج على إمام الزمان لا شكّ بغي يجرمه الإسلام، ويرفضه العقل والأديان؛ لأنه خروج لا مسوغ له ما دام خروجاً على إمام العصر أو إمام الزمان الذي تنصّب السوء، فهذا أمر مسلم ولا نقاش فيه. لكننا إذا أردنا أن نناقش في المقام، فلا بدّ من مناقشة صغرى القياس، وهي أن فلاناً من الناس هو الإمام، وفلاناً من الناس هو الباغي، فهذه المسألة تحتاج إلى تحقيق وتدقيق لمعرفة صدق هذه الدعوى. إن الإمام الذي يجرم الخروج عليه هل هو مطلق الحاكم وإن كان

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١: ٢٦٥-٢٦٦، ٥: ٣١٣.

أربعون الإمام الحسين عليه السلام والهدف الرسالي ١٩

بعيداً كل البعد عن الإسلام، أم إنه إمام مخصوص بعينه، جامع للشرائط، لا بد من أن تتوفر فيه صفات معينة وضعها الإسلام وأمر بانطباقها عليه؛ حتى تصدق عليه هذه التسمية، وحتى ينطبق عليه هذا العنوان؟
إن هذه الشروط إذا ما تحققت فيه، فحينئذ يكون إمام حق، والخارج عليه خارجاً على الله تبارك وتعالى؛ فيجب ردعه، بل التضيق عليه وقتاله.

الحاكمية عند أهل السنة

إننا نرى أن الحاكم الذي ينبغي له أن يكون مطاعاً، وأن تبايعه الناس على السمع والطاعة والانقياد، والاستئثار بأمره والانتهاز عن نهيه، وتطبيق تعاليمه هو ذلك الشخص الذي تنصّب به السماء، أو ينصّب من تنصّب به السماء بنص أو وصية أو بأي صورة من صور التنصيب والتنصيب. وهذا الأمر من المسلمات عندنا بحيث إننا لا نرتضي لأي شخص أن يكون إماماً ما لم يتصف بصفات الإمام المذكورة في محلّها والتي نص عليها النبي المصطفى الأكرم صلى الله عليه وآله، وخلاف ذلك فليس هو بحاكم كما يذهب إليه أهل السنة الذين يرون أن كل من تغلّب على الأمر بالقوة والسيف فهو حاكم تجب على الناس طاعته، ويجب عليهم أن يؤدّوا له فروض الانقياد والانصياع، وألا يخرجوا عن أمره، ولا يمرقوا عن قوسه.

يقول القرطبي ملخصاً عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] حيث قال: «السابعة: واختلف فيما يكون به الإمام إماماً، وذلك في ثلاثة طرق:

الطريق الأول: نصّ المستخلف على جماعة....

الطريق الثاني: إجماع أهل الحلّ والعقد.

الطريق الثالث: التغلب بالقهر والغلبة لمن له أهلية الإمامة^(١).

وهذه المحاولات جميعها هي محاولات مريضة ومعرضة تنم عن نفوس طبَّعها الداء بطابعه، وعلى قلوب أخذها الرين، فأصبحت كتلة سوداء من الحقد والحسد والبغض والكره لأهل هذا البيت الذين أمر الله تبارك وتعالى بمودتهم ومحبتهم، وعدم كرههم وبغضهم، بل بين الله تبارك وتعالى قدسيّتهم وطهارتهم بنص كتابه العزيز^(٢)، والذين أجمعت الأمة على قدسيّتهم وطهارتهم، وبهذا فإنهم لا يمكن أن يخونوا الله تبارك وتعالى، فيخرجوا على خليفته في أرضه، ولا يمكن أن يعصوا الله تبارك وتعالى بعصيانهم خليفته الذي نصبه لو كان فعلاً ذلك الخليفة منصوباً، أي أن السوء قد أمرت بتنصيبه واستخلافه على الناس.

مصدر الخلافة الشرعية عند الإمامية والزيدية

إن الإمامية والزيدية يرون أن الإمامة والاستخلاف لا بد أن يكونا بالنص الشرعي من الله تبارك وتعالى على الخليفة الذي ينبغي أن يكون بعد النبي ﷺ؛ كونها مسألة خطيرة جداً وخطيرة كذلك، ولخطورتها وعظمتها نجد أن السوء قد أولتها عناية خاصة وأهمية كبيرة؛ بحيث إنها قد منعت من إيكال أمرها إلى أي أحد من الناس حتى إلى النبي ﷺ بل حصرت أمر إيكالها بالسوء نفسها دون السماح لأي أحد بالمشاركة في اتخاذ مثل هذا القرار، وللمساهمة في اختيار القائد الأعلى للدولة الإسلامية؛ وذلك لخطورة هذا الأمر، وخطورة متبنياته،

(١) الجامع لأحكام القرآن ١: ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) قال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. الأحزاب: ٣٣.

وضخامته وجسامته، وأهميته في نظر السماء.

تساؤلات مع ابن العربي حول خلافة يزيد

وبعد أن بيّنا مصدر الخلافة الشرعية في الإسلام، ورأي علماء الإسلام فيها على المذاهب الخمسة بل حتى غيرهم كالزيدية مثلاً نأتي هنا لنتناقش صغرى القياس المارّ، وهي خلافة يزيد، لنسأل هنا فنقول: هل إن خلافة يزيد جاءت عن طريق الشورى أم عن طريق الانتخاب، أم عن طريق التعيين الإلهي كما عليه الإمامية؟ ولو أننا توجهنا به إلى ابن العربي الذي رأينا موقفه من حركة الإمام الحسين عليه السلام المباركة، ونهضته الإلهية المساوية المقدسة، فإننا نجد أنه يعيا عن الجواب، ويكلّ عن الردّ أمام هذا الخطاب.

معاوية بن أبي سفيان ومبدأ ولاية العهد

وإذ يعجز ابن العربي عن الإجابة حتى على رأي الإمامية بل حتى على رأي علماء مذاهبهم، فإننا نجد أنفسنا مضطّرين إلى بيان هذه المسألة، فنقول: إن الوسيلة التي تمّ بها استخلاف يزيد هي نظام ولاية العهد الذي ابتدعه معاوية في الإسلام تقليداً لملوك ودول العالم آنذاك كالفرس الأكاسرة، والروم القياصرة، وغيرهم كملوك مصر والحبيشة وما إلى ذلك.

نعم إن معاوية قد استخلف ابنه بناء على نظام ولاية العهد التي منحها إياه دون نظر إلى كفاءة المستخلف (ولي العهد) وعدمها، ولا إلى صلاحية المستخلف في استخلافه غيره، ودون أخذٍ بالاعتبار للصفات الواجب توفرها عند الحاكم حتى يصح أن يكون خليفة؛ فكان الأمر تحكّماً واعتباطياً أراد من خلاله معاوية

للسلطان والكرسي والحكم الذي أخذه من بالقوة والقهر والغلبة - ألا يخرج من البيت الأموي، وألا يفارق البيت السفياي؛ لأنه أرادته ملكاً عضواً ليس للإسلام فيه نصيب، ولا للحق فيه كفل. فكل مبتغاه هو أن يكون هذا الملك في يده وسلطانه وسلطان ابنه من بعده.

تحقيق كون الحسين عليه السلام باغياً على إمام زمانه

إن هذه النظرية تنطوي على أمرين - كما ذكرنا - هما:

أولاً: كون يزيد بن معاوية هو الخليفة الشرعي.

ثانياً: كون الإمام الحسين عليه السلام باغياً على إمام زمانه.

وهي نظرية تنطوي على خطورة، بل إنها تماسّ نقطة حرجة في كيان المعتقد الإسلامي وهيكلية الدين؛ ذلك أننا إذا ما أخذنا الأمور بأمثال هذه المقاييس البعيدة عن العقل والمنطق فإننا نخرج بنتيجة واحدة هي أن الأنبياء عليهم السلام جميعهم باغون؛ لأنهم خرجوا على سلاطين أزمانهم^(١). فالتاريخ يحدثنا أن الأنبياء جميعاً

(١) وربما يعترض البعض على هذا فيقول: إن هذا قياس مع الفارق؛ ذلك أن هنالك فرقاً بين حال يزيد وحال السلاطين الذين جاء الأنبياء عليهم السلام في أزمانهم؛ ذلك أن أولئك السلاطين أو الحكام أو الملوك كانوا كفرة غير مسلمين، أما يزيد بن معاوية فهو مسلم؛ وبهذا فإن الأمر يختلف، ويكون قياساً مع الفارق.

ونرجع هنا لنقول: إن هذا الكلام مبني على مقدمتين كبرى مسلمة، وصغرى غير مسلمة، بل لا بد من أن تناقش وتحقق؛ ذلك أنه من الذي يقول بإسلام يزيد؟ وما هو الفرق بين يزيد بن معاوية وفرعون؟ وهل إن مجرد نطق الشهادتين يؤدّي إلى اختلاف التوصيفين، وإلى إسباغ صفة الإسلام على الحاكم بعد أن روى سيفه من دماء المسلمين، وهدم بيت الله

قد تمردوا على السلطات التي عاصروها؛ فمثلاً النبي إبراهيم قد تمرد على النمروذ، والنبي موسى عليه السلام تمرد على فرعون، والنبي عيسى عليه السلام تمرد على السلطة الرومانية الوثنية المعاصرة له، وكذلك بقية الأنبياء الذين حاربوا سلاطين عصورهم وأزمانهم، مطالبين إياهم بالنزول عند إرادة السماء وعبادة الله تعالى.

دور السلاطين الأمويين وولاتهم في محق الإسلام

إن الباحث المدقق والمنصف المحقق إذا ما تناول تاريخ الخلافة الإسلامية منذ العهد الأموي وحتى سقوطها، ونظر إلى هذه المسألة بعين الناقد الفاحص، فإنه سوف يخرج بنتيجة واحدة هي عدم كفاءة الخلفاء ولا وولاتهم في أداء الأمر الذي يقومون فيه، بل عدم صلوحهم لتولي هذا الأمر؛ بناء على ما هم عليه من حال لا يمت إلى الإسلام بصلة.

١ - جرائم بسر بن أرطاة

وكشاهد على هذا نذكر ما فعله بسر بن أرطاة أحد ولاة معاوية الذي يدعي خلافة الله في أرضه، وحقه في الاستيلاء على أمواله وأموال عباده، الوالي الذي فعل ما فعل، وقتل من قتل، وسفك من الدماء ما سفك؛ حتى ضجّت الأرض بساكنيها إلى ربها، وقد عاث في الأرض والبلاد والعباد قتلاً وفساداً وإفساداً،

وأحرقه، وقتل القراء، وقتل أسباط الأنبياء، وفعل ما فعل بالدين وأهله؟ فهل هذا من الإسلام في شيء؟

وارتكب المجازر الجماعية، والمذابح العظيمة التي أدت إلى إزهاق أرواح كثير من المؤمنين والمسلمين ممن لا ذنب لهم أبداً.

مجزرة اليمن وبيع نساها

لقد ارتكب بسر مذبحه كبيرة في اليمن بعد وصوله إليها ودخوله إياها، وقد قام بها بنفسه، وباشرها معه رجاله وأزلامه، فقتل فيها الغالب من الرجال، ولم يبق إلا على النساء اللواتي أخذن أسيرات وكأنهن من بلاد الروم أو بلاد الكفر. وهنا راح الجند والجيش الغازي المستعمر يعرضهن للبيع في أسواق العبيد، وهن نساء المسلمين الذين يتوجهون إلى القبلة، ويؤدون فريضة الصلاة، ويرفعون الأذان، ويصومون شهر رمضان. وكان غالبهن من همدان، فكن أول نساء يسبين في الإسلام، ويقمن في الأسواق ليعن بعد أن يكشف عن سوقهن ليرى أيهن أعظم ساقاً^(١).

٢ - مروق الحجّاج

وقد تمادى الحجّاج في ازدراء المدينة وصاحبها عليه السلام فقال: إن المسلمين مخدوعون حين يطوفون بقبر محمد عليه السلام، وقد تحوّل صاحب القبر إلى عظام بالية، ألا يطوفون بقصر عبد الملك؟^(٢).

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٠٦ - ١٠٧، الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٤ - ٣٨٥، مروج الذهب ٣: ٣١ - ٣٢، الاستيعاب ١: ٢٤٣ / ١٧٥.
(٢) انظر: الكامل في الأدب ١: ٢٢٢، وقال المبرد فيه: إن ذلك ممّا كفّرت به الفقهاء الحجّاج، شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٤٢.

يزيد بن معاوية؛ ثلاث سنوات بثلاث مآسٍ

إن الفترة الزمنية التي حكمها يزيد هي ثلاث سنوات، لكنها مع ذلك فترة اتّسمت بكونها أخرج الفترات التي مرّت بالإسلام والأمة الإسلامية؛ ذلك أنها قد استبيح خلالها كلّ مقدّس؛ فقد اعتُدي خلالها على ثلاث مقدّسات إسلامية هي قمّة القداسة وغايتها، بل إنها تمثل خطأً أحمر بالنسبة للإنسان المسلم من حيث قدسيتها وحرمتها، وعدم جواز التعدي عليها. وهذه الصروح الثلاثة التي اعتدى عليها يزيد هي حسب التسلسل الزمني:

الأولى: قتل سليل النبوة ووصي الرسالة

لقد افتتح يزيد سنوات خلافته بأبشع جريمة عرفها التاريخ؛ فقد ارتكب مجزرة كربلاء، وهي واقعة مشتهرة غنية عن التعريف؛ فقد تكفل التاريخ الإسلامي بشقيه (السني والشيعة) بذكرها، وبيان تفاصيلها، وإثبات الفظائع والمجازر والمآسي التي ارتكبت فيها؛ بحيث إنها لم تترك محرّماً إلا ارتكب، ولا محلاً أو واجباً إلا منع، وامتدّت معها الأيدي الآثمة إلى حُرّم رسول الله صلى الله عليه وآله ليستبيح ثيابها وحليها، وليوسعها ضرباً بالسياط، ولتسوقها أسارى إلى مجالس الطغاة في الكوفة والشام.

الثانية: انتهاك حرمة المدينة واستباحة المشهد النبوي المقدّس

لقد هتك يزيد في سنة حكمه الثانية حرمة المدينة حتى أوصل جيشه الدماء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، مع ما صاحب هذا الفعل الفظيع البعيد عن القيم من اعتداء على أعراض المسلمين، حتى روي أن أهل الفتاة كانوا إذا جاءهم خاطب

قالوا له: نزوّجكها، ولا نضمن لك عذريّتها^(١).

الثالثة: الاعتداء على الكعبة وحرقتها

قدم الحصين ابن نمير مكة، فناوش ابن الزبير الحرب في الحرم، ورماه بالنيران حتى أحرق الكعبة. وكان عبد الله بن عمير الليثي قاضي ابن الزبير، إذا تواقف الفريقان قام على الكعبة، فنادى بأعلى صوته: يا أهل الشام، هذا حرم الله الذي كان مأمناً في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد، فاتقوا الله يا أهل الشام. فيصيح الشاميون: الطاعة الطاعة، الكرة الكرة، الرواح قبل المساء. فلم يزل على ذلك ويزالوا حتى أحرقت الكعبة. وكان ذلك سنة (٦٣) للهجرة^(٢).

الإمام الحسين عليه السلام يشغل أعداءه ومحبيه

لقد شغلت هذه النهضة الإنسانية البشرية جميعها بطرفيها المتناقضين؛ فقد شاءت الإرادة الربانية أن تكون هذه الحركة الإلهية محطّ اهتمام أعداء الإمام الحسين عليه السلام، ومحبيه:

(١) انظر: الغدير ١٠: ٣٥ ناقلاً ذلك عن كل من: الإنحاف: ٢٢، وفاء الوفاء ١: ٨٨، وفي معالم المدرستين ٣: ١٨٨ - ١٨٩ عن تاريخ الخلفاء: ٢٠٩، تاريخ الخميس ٢: ٣٠٢، وانظر كذلك: تاريخ الإسلام ٥: ٢٦، تاريخ مدينة دمشق ٥٤: ١٨١ - ١٨٢، البداية والنهاية ٦: ٢٦٢، ٨: ٢٤١، وفيات الأعيان ٦: ٢٧٦.

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥١ - ٢٥٢، المصنف (عبد الرزاق الصنعاني) ٥: ١٠٤ / ٩١٠٦، ١٣٨ / ٩١٨٣، المستدرک على الصحيحين ٣: ٥٥٠، فتح الباري ٣: ٢٥٤، عمدة القاري ٩: ٢٢١، وغيرها كثير.

أولاً: عشاق الإمام الحسين عليه السلام

إن عشاق الإمام الحسين عليه السلام ومريديه كانوا ولا زالوا يرون أن الإمام الحسين عليه السلام قد أصبح جسداً وروحاً وذكراً وقيماً ومبادئ تتمرد كلها على التراب، وعلى الظلم والطغيان، وتتمرد على إرادة الشيطان لترتفع ولتسمو حتى تصل إلى قلوب عشاق الحرية حيث تترنم أنشودة على شفاههم، وهم يرددون تلك الكلمات العظيمة الباسلة التي اختطت طريق النهضة الحسينية المباركة والتي رفعها الإمام الحسين عليه السلام شعاراً لثورته واختصرت الطريق إلى هدفه، فهم كانوا ولا زالوا يرددون: «لم أخرج أشراً ولا بطراً»... إلى آخره.

ثانياً: أعداؤه عليه السلام

كما شغلت هذه الحركة الجبارة الظلمة والطغاة والجبابة؛ لأنهم كانوا يخشونها ويخشون من امتدادها وتوسعها. فالأمويون والعباسيون انشغلوا بهذه الحركة؛ لأنهم كانوا يخشونها ويهابونها، ولأنهم كانوا يعرفون ذلك المدى الواسع والبعيد الذي يمكن أن تبلغه على صعيد الخط الزمني والخط الجغرافي؛ فهي حركة محبة إلى النفوس لا تكاد تفارقها، ولا تكاد تغيب عن وعيها وتفكيرها؛ ذلك أن الدم الطاهر الذي هدر في كربلاء قد فعل فعله في تحطيم عروش تلك الدولة، فهو لم يكن دماً مشخوباً على أرض كربلاء، بل كان سيلاً هادراً، وأمواجاً جارفة تهتز الأرض من تحتها لتدحر عروش الطغاة، وقد راحت تحفر الأرض من تحت عروشهم حتى زلزلتها بهم، وكسرتهم، وحطمتها وأوقعتهم من فوقها.

ولو أن هذه النهضة حصلت في عهد العباسيين لما امتد سلطانهم هذه الفترة

التي كان من الممكن أن تطول أكثر لولا أثر دماء الإمام الحسين عليه السلام في زلزلتها وفي إسقاطها.

العباسيون وهاجس الخطر الحسيني

لم يكن العباسيون تلك الشريحة الناصعة التي تشرف التاريخ؛ بل إنها كانت تهدف إلى استغلال المدّ العاطفي عند شريحة عريضة من المجتمع الإسلامي ممن يميلون إلى أهل البيت عليهم السلام؛ سواء كان ميلاً عقيدياً أو ميلاً عاطفياً بحتاً، فاستغلوه استغلالاً كاملاً من أجل تحقيق أهدافهم ومآربهم، لكنهم بعد أن حققوا أهدافهم، ووصلوا إلى مرادهم، تنكروا لذلك الشعار، وانكفؤوا على أنفسهم ليحاربوا ذلك الشعار الذي قاموا به متوجّسين منه الشرّ؛ لأنهم قد خافوه بعد أن أعلنوا عن نياتهم الحقيقية وراء استخدامه.

فحينما شعر هؤلاء بأن الحركة الحسينية راحت تمثل خطراً كبيراً وداهماً عليهم، وهم قد وصلوا إلى الحكم عن طريقها لا لنصرة تلك الثورة، بل للجلوس على كرسي الحكم، راحوا يحاربونها ويسعون جاهدين إلى منع زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

أساليب منع زيارة قبره عليه السلام

لقد لجأ هؤلاء إلى وسيلة مخزية من وسائلهم الظالمة الجائرة في إبعاد الناس عن أهل البيت عليهم السلام، وهي وسيلة التخويف والترهيب والتقتيل لكل من تسوّل له نفسه يزور قبورهم سيما قبر الإمام الحسين عليه السلام الذي منعوا من زيارته عبر أسلوبيين:

الأول: انتهاج أسلوب القوة في المنع

لقد عمدوا هؤلاء إلى استخدام القوة والتخويف والترهيب والقتل والتعذيب والسجن لكل من تسوّل له نفسه أن يقصد الإمام الحسين عليه السلام، أو يزور قبره بعد أن هدموه، وبعد أن أقاموا حوله الجيوش التي كانت تمنع أولئك الذين يقصدون هذا الضريح المقدّس لزيارته والتشرف به والتبرك بصاحبه عليه السلام.

الثاني: دعوى بدعية زيارة القبور وعبادتها

وفي أسلوبٍ ثانٍ موازٍ للأسلوب الأول حاول هؤلاء أن يمنعوا زيارة الإمام الحسين عليه السلام مستخدمين في ذلك أسلوب الإقناع، فالإقناع هنا هو ما حاولوا أن يبثوه بين الناس ويشيعوه من عدم مشروعية زيارة القبور، وأنها بدعة ليست من الإسلام في شيء، ولم ينزل بها حكمٌ ولا سلطانٌ من الله تبارك وتعالى، بل إنها تتقاطع مع التشريع الإلهي الذي منع من زيارة القبور، والوقوف عندها وعليها، ومناجاتها وقراءة القرآن عندها، وما إلى ذلك مما يارس عندها من شعائر وطقوس إيمانية وعبادية.

الردّ على هذه الدعوى

إن هناك عنوانين من الأدلة يمكن أن نستدلّ بهما على مشروعية زيارة القبور، هما:

الأمر الأول: الدليل النقلی

إننا في واقع الأمر نعلم أن هنالك روايات صريحة في الشريعة الإسلامية عن النبي صلى الله عليه وآله في هذا المجال تحثّ على زيارة القبور، وعلى الوقوف عندها، وعلى

٣٠.....يوم الأربعاء

البكاء عليها وقراءة القرآن، وتذكر الموت والأخرة؛ لأن زيارة القبور ترقق القلوب، وتذكر الإنسان بالموت والأخرة، والحساب والعقاب، والجنة والنار، وتحث على العمل الصالح بعد أن تريه بأن مصيره إلى هذا، وأنه صائرٌ إلى عالمٍ آخر يقف فيه للحساب بين يدي ملك جبار متعالٍ. فهو بهذا يلجأ إلى أن يتذكر كل تلك المواقف الرهيبة، والمشاهد العظيمة التي ينبغي أن يخشاها كل إنسان عاقل، وهذا ما يدفعه إلى فعل الطاعات، وترك المعاصي، والتشبث بالدين أكثر فأكثر. ومن هذه الروايات قوله ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، ثم بدا لي أنها تُرَقِّق القلب وتُدَمِّع العين وتُذَكِّر الآخرة؛ فزوروها»^(١).

الأمر الثاني: الدليل العملي

هذا فضلاً عن أن هنالك بعض الأفعال والأعمال والتصرفات التي كان يقوم بها الصحابة في حضور النبي الأكرم ﷺ حول زيارة القبور، والوقوف عندها، وقراءة القرآن، واستذكار الآخرة دون أن يعترض النبي ﷺ على ذلك، بل إن النبي الأكرم ﷺ نفسه كان يفعل ذلك. ومن هذه المواقف نذكر:

(١) الموطأ ٢: ٤٨٥، سنن ابن ماجة ١: ٥٠٠ / ١٥٦٩، المعجم الصغير ٢: ٤٣، تلخيص الجيّد ٥: ٢٤٧، المجموع شرح المذهب ٥: ٣١٠، مغني المحتاج ١: ٣٦٥. قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٨٨ - بعد أن نقل قوله ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة» - ما نصه: «فزيارتها مندوبة للرجال بهذا القصد، والنهي منسوخ». كشف القناع ٢: ١٧٤، حيث نقل الأحاديث الواردة في الهامش السابق بعد أن أورد عبارة الماتن: «يسنّ للذكور زيارة قبر مسلم». وبعدها نقل قول الماتن: «ولا يمنع كافر من زيارة قريبه المسلم»، ثم علق قائلاً: «حيّاً كان أو ميّتاً. ثمّ نقل كراهتها للنساء دون حرمتها. وفي كشف القناع ٤: ٣٠١ قال: فإن زيارة القبور للرجال سنة.

أربعون الإمام الحسين عليه السلام والهدف الرسالي ٣١

أولاً: زيارة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه قبور البقيع في فترات كثيرة، ولعل أبرزها زيارته لها في مرضه الذي توفي فيه صلى الله عليه وآله.
ثانياً: إذنه صلى الله عليه وآله لبعض الصحابة بأن يذهبوا إلى القبور ويزوروها ويقفوا عندها.

ثالثاً: كانت الزهراء عليها السلام على عهد أبيها عليه السلام تذهب إلى قبر حمزة بن عبدالمطلب عليه السلام، وتقف عليه، وتقرأ له القرآن، وتقرأ الفاتحة له ولأرواح الشهداء الذين استشهدوا معه.

ثالثاً: تطويق اتصال الناس بالحسين عليه السلام

وبعد أن رأى هؤلاء أن استخدام عامل تشويه الإسلام - عبر ضحّ فتاوى جديدة فيه ليست منه، وغايتها تشويه صورة أهل البيت عليهم السلام في نفوس الناس وعقولهم قد باءت بالفشل - عمدوا إلى طريقة أخرى لتحجيم دور الإمام الحسين عليه السلام وهي طريقة تطويق اتصال أولئك المحييين له، وعشّاق الحرّية وعشّاقه عليهم السلام؛ حتى يمنعهم من أن يتصلوا به؛ خشية أن يحصلوا على المدد الإلهي، وأن يسترفدوا منه ذلك الشعاع السماوي الخالد الذي يبعث في نفوسهم روح الرجاء، وينفخ فيها جمر الغضب حتى يتحرّكوا ضدّ طغاة عصورهم وعتاتها من الحاكمين، مطالبين بتحقيق الحرّية وتحقيق توعد الإسلام.
وقد باءت هذه المحاولة بالفشل كذلك بعد أن رأوا أنه ليس هنالك من شيء يمكن أن يقف عائقاً بين الحسين عليه السلام وبين محبيه وعشّاقه.

رابعاً: المنع الصريح عن زيارة القبر

وهذا الأمر جاء بتدخّل مباشر من المتوكّل نفسه الذي أمر باتّخاذ عدّة وسائل

لتحقيقه بعد أن أعيته الوسائل والسبل عن تحقيقه، ومنها:

١ - حرث القبر.

٢ - قطع الشجرة التي كانت عليه، والتي كان الناس يستدلون بها إلى ذلك الضريح الطاهر.

٣ - فتح ماء الفرات على الضريح الطاهر؛ لإغراقه، ولكن الله تعالى شاء للماء أن يحر حوله دون أن يقترب منه؛ ولذلك سمي الحائر الحسيني.

ومع كل هذا نجد التاريخ يحدثنا أن أعرابياً جاء يزحف إلى القبر، وكان كلما وصل إلى مكان أخذ شيئاً من التراب ليشمه ثم يلقيه، إلى أن وصل إلى الضريح المقدس، فتناول منه حفنة ثم شمها وألقاها وأنشأ يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن محبه وطيب تراب القبر دل على القبر^(١)

ثم احتضن القبر الطاهر الشريف المقدس مستدلاً عليه بأرج ترابه وعطر نفعه، وأدى شعائر زيارته ومراسم اتصاله بالإمام الحسين عليه السلام.

خامساً: فرض الضريبة المالية على الزوار

بعد أن فشلت كل مخططات المتوكل في إيقاف المد الحسيني الهادر، وفشل منع تلك الجموع المحتشدة الغاضبة التي أبت إلا أن تقصد قبره على الرغم من كل أساليب التخويف والترهيب، أمر بأن تفرض ضريبة مالية وصلت إلى الألف دينار على كل من يمسك متلبساً بزيارة الإمام الحسين عليه السلام أو على كل من أراد أن يزوره. وهنا يحدثنا التاريخ كذلك أن امرأة عجوز قد أنهكتها الدهر حتى حنى

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤ : ٢٤٥، تهذيب الكمال ٦ : ٤٤٤، سير أعلام النبلاء ٣ : ٣١٧.

أربعون الإمام الحسين عليه السلام والهدف الرسالي ٣٣

ظهرها، وقد جاءت تتوكأ على عصاها؛ لتجبر ما أخذه منها الزمن، وكانت تحمل بيدها صرة أثقلها حملها، فيها ألف دينار، وتقف على المسلحة فتقول لأصحابها: بلغني أنكم منعتم الزائرين، فلا يصل أحد إلى قبر الحسين عليه السلام حتى يدفع ألف دينار، فهذه الألف خذوها مني، ودعوني أصل إلى قبر الحسين عليه السلام.

سادساً: فرض الضريبة الدموية

بعد أن رأى المتوكل ما رأى من استماتة الناس في دفع الأموال العظيمة دون ترددٍ ودون حرصٍ عليها من أجل أداء هذا المنسك وهذه الشعيرة المقدسة، أبلغ جلاوزته بأن يستبدلوا الضريبة المالية التي بلغت مقداراً ضخماً، وهو الألف دينار بضرية دموية، أي أن الناس إذا أرادوا زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فعليهم أن يقدموا عشرةً بالمئة ضحايا حتى يسمح لهم بالزيارة. وما إن بلغ هذا الأمر الشيعة ومحبي الإمام الحسين عليه السلام، حتى راحوا يسارعون بشكل كبير بتقديم أنفسهم ضحايا من أجل الآخرين؛ كي يستشهدوا في سبيل زيارة الإمام الحسين عليه السلام وفي سبيل أن يجوز الآخرون هذا الاختبار وهذا الابتلاء؛ ليصلوا إلى الإمام عليه السلام، ويبلغوه ما هم عليه من تضحية في سبيله.

وبعد أن رأى المتوكل أن المسألة لا تقف عند حد مهما كانت العقوبة أمر بأن تضاعف الضريبة إلى عشرين بالمئة لكنهم لم تنهم مضاعفة الضريبة، فراح المتوكل يرفع الضريبة شيئاً فشيئاً ورقماً فرقماً حتى أخذه العجب من تلك التضحيات الكبيرة التي قدمها هؤلاء الذين تشربوا فكر الحسين عليه السلام، والذين اشربت أعناقهم لمعانقة القيم والمبادئ التي ناضل عليه السلام من أجلها.

محبوا الإمام عليه السلام ينحرون قلوبهم على ضريحه

وبعد هذا الاستعراض التاريخي السريع لما لاقته ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأتباعها، ولما عانته وواجهته من محاولات التحجيم والتطويق والقتل والوَأد، وكذلك الأمر مع محبي الإمام الحسين عليه السلام، نوذُ ننتقل إلى أجواء كربلاء التي نفترض أننا هنا إنما نعيش هذا التراب الكربلائي المقدس لنشارك الإمام الحسين عليه السلام ألمه وهو يرى الدين ألعوبة بيد أولئك الظالمين. كما أنه يرى بعين الله حُرْم الله وحُرْم رسوله صلى الله عليه وآله، وهي على بعد قاب قوسين أو أدنى من أن تصبح رهينة عند أولئك الذين نزع الله الرحمة والرأفة من قلوبهم، فلا هم مسلمون يدينون الله بإسلامهم ويطبقون الإسلام، ولا هم عربٌ تأخذهم نخوة العربي في الحفاظ على المرأة وإكرامها، بل إنهم قومٌ قد تجردوا من تلك القيم وتلك المبادئ العربية، فأصبحوا وحوشاً وذئاباً لا هم لهم سوى الولوغ في الدماء والقتل والترهيب.

وإذا كان الأمر بهذا الحجم من المأساة، فلا بد لنا من أن نعقر قلوبنا على ذلك الضريح الطاهر؛ ولذا فإن محبيه عمدوا إلى أن ينحروا قلوبهم على ذلك الضريح الطاهر المقدس؛ حتى يساهموا معه عليه السلام في مأساته وفي ألمه، وفي وحدته وفي صراعه مع الحق ضد الباطل. وهذا ما ترجمه لنا أحد الشعراء الذي أبقى إلا أن يعقر قلبه على ذلك الضريح المقدس، فلنساير ذلك الشاعر، ولنر ماذا يقول، إنه يخاطب الأمة قائلاً:

خِليِّ هل من وقفة لكما علي جدت أسقيه صيب
ليروى الثرى منه بفيض فإن الحيا الهطال لم يك

لأنَّ الحيا يهْمِي وَيَقْلَعُ تارَةً
خَلِيلِي هَبَا فَالرَّقَادَ مَحْرَمٌ
هَلَمَّا مَعِي نَعَقَرُ هُنَاكَ قَلوبَنَا
هَلَمَّا نَقَمُ بِالْغَاضِرِيَةِ مَأْتَمًا
فَتَى حَلَقَتْ فِيهِ قَوَادِمَ عِزِّهِ
وَأَسَادَ حَرْبٍ غَابَهَا أَجْمُ الْقَنَا
إِذَا أَلْقَحَ الْهَيْجَاءَ حَتْفًا بِرِمَحِهِ
إِلَى أَنْ دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ لِلْقَائِهِ
وَخَرُّوا لَوَجْهِهِ اللهُ تَلَقَا
وَإِنِّي لِعَظْمِ الْخَطْبِ مَا جِفَّ
عَلَى كُلِّ ذِي قَلْبٍ مِنَ الْوَجْدِ
إِذَا الْحَزْنَ أَبْقَاهَا وَلَمْ تَتَّقَعْ
لِخَيْرِ كَرِيمٍ بِالسَّيْفِ مَوْزَعٍ
لَأَعْلَى ذُرَا الْمَجْدِ الْعَظِيمِ
وَكُلِّ كَمِيٍّ رَابِطِ الْجَاشِ
فَمَاضِي الشَّبَابِ مِنْهُ يَقُولُ لَهَا
فَكَانُوا إِلَى لِقْيَاهِ أَسْرَعُ مَنْ
فَمَنْ سَجَدَ فَوْقَ الصَّعِيدِ

فضل البكاء على الحسين

الحمد لله الذي أتحف بالبلاء أوليائه وأهل محبته، ورفع لهم الدرجات العالية في جنته، والصلاة والسلام على خيرته من خلقه وصفوته من بريته، أبي القاسم محمد وعترته، (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وبعد: فإن أربح التجارات، وأنفع القربات إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، ونشر مدائحهم ومناقبهم، ونصب مجالس الحزن والبكاء عليهم؛ لما ورد عنهم: أنه «من جلس مجلساً يحيا فيه أمرنا، لم يمته قلبه يوم تموت فيه القلوب»^(١).

وورد عن الصادق عليه السلام أنه قال: «رحم الله شيعتنا، لقد شاركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة على مصاب جدي الحسين عليه السلام»^(٢).

وورد في الخبر عن سيد البشر أنه قال لابنته فاطمة - حين أخبرها بقتل الحسين عليه السلام، وما يجري عليه من المحن، فبكت فاطمة بكاءً شديداً وقالت: «يا أبتاه، متى يكون ذلك؟». قال - : «في زمان خالٍ مني ومنك ومن أبيه وأخيه». فاشتد بكاءؤها، فقالت: «فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء عليه؟». فقال: «إن نساء أمتي يبكين على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل

(١) الأمالي (الصدوق): ١٣١/١١٩. مشكاة الأنوار: ٤٤٨.

(٢) ثواب الأعمال: ٢١٧، بحار الأنوار ٤٣: ٢٢١ / ٧، تظلم الزهراء: ٦٦.

بيتي، يحدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة، فإذا كان يوم القيامة تشفعين أنتِ للنساء، وأنا أشفع للرجال. وكلّ من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده، وأدخلناه الجنة. يا فاطمة، كل عين باكية يوم القيامة إلا عيناً بكت على مصاب الحسين، فإنها ضاحكة مستبشرة»^(١).

وروي عنه عليه السلام أن «من ذكر الحسين عنده، فخرج من عينيه بقدر جناح الذباب، كان ثوابه على الله، ولم يرص له بغير الجنة جزاء»^(٢).
وفي المنتخب عن الصادق عليه السلام أنه قال: «من ذكرنا عنده ففاض من عينه ولو مثل رأس الذباب، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»^(٣).
وبالجمل، فالأخبار الواردة في ذلك كثيرة جداً حتى بلغت التواتر، وهي في الاشتهار كالشمس في رابعة النهار.

يوم العشرين من صفر

هذا، ويحقّ لكلّ مؤمن موالٍ - من دون ملاحظة ذلك الثواب - أن يجري الدموع من الأجفان، ويلبس شعائر الأحزان، ويبكي على الغريب العطشان، ويُقيم مأتم الحزن جيلاً بعد جيل في كل وقتٍ وآنٍ، وفي أي مكان كان. ويتأكد ذلك في بعض أيام السنة خصوصاً التاسوعاء والعاشوراء، ويوم العشرين من شهر صفر، فإنه يوم كآبةٍ وحزنٍ وكدرٍ على زين العابدين علي ابن الحسين وبنات

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢ / ٣٧.

(٢) ثواب الأعمال: ٨٤، وسائل الشيعة ١٤: ٥٩٤ / ١٩٨٨٧.

(٣) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ / ١٩٦٩٠.

حيدر. وفيه وصلوا إلى كربلاء لما رجعوا من الشام، كما ورد في السير، فعلاً
الندب من الهاشميات، وارتفع الصياح والبكاء من العلويات والفاطميات،
وأقاموا المآتم، وجدّدوا العزاء في الغاضريات على السبط الأطهر، والسادة الغرر
من سلالة حيدر، والصبية المذبّحة من ذرية سيد البشر. فهلاًّ نشاركهم في هذا
اليوم، ونسعدهم بالنوح لهذا الفادح الأكبر، والمصيبة التي أثّرت في الصخر
الأصم، وأبكت السماء دماً، وتغيّر لها جميع العالم، وأحزنت رسول الله ﷺ
سراج العوالم، وألبست ثوب الحزن علياً وفاطمة، وأجرت من الأئمة الدموع
السواجم.

كيف لا، وقد فعل الطغاة الكفرة، بنو أمية الفجرة بالعترة البررة فعلاً لم تفعله
فرقة من الفرق الضالّة مها بلغت في الضلال وقساوة القلب، ولم يجر في حرب
من حروب الدنيا من الفظاعة ما جرى منهم في حرب ذرية رسول الله ﷺ
العترة الطاهرة؟ فلو شهدت وقعتها بغاة الجبابرة، لأعانتها ونصرتها، ولو
اطّلت عليها مرده الكفرة لبكتها وندبتها، ولو حضرت مصارعها عتاة الجاهلية
لناحت عليها.

فيا ويل أولئك الكفرة الفجرة بني أمية لاجترائهم واعتدائهم على الذرية
النبوية بسفح دمائها وسفكها، وسببها مصونات نساءها وهتكها، حتى تركوا في
العراء رجالها، بالدماء مخضوبة، وأشلاء جثتها على الثرى مسحوبة، ومخدّرات
حرائرها سبايا منهوبة. فكم من جريمة كبيرة ارتكبوها، وكم من نفسٍ معصومةٍ
أزهقوها واجترموها، وكم من كبد حرّى منعوها ورد ماء الفرات المباح
وأحرموها! ثم احتزّوا رأس سبط رسول الله ﷺ وحبيبه بشبا الحداد، ورفعوه

٤٠ يوم الأربعاء

على رؤوس الصعاد، وحرقوا خيامه، وروّعوا أيتامه، وسلبوا عياله، وساقوا حريمه وأطفالهم أذلاء من الاضطهاد، وأركبوهم على الأقتاب بلا وطاء ولا مهاد! فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولعن الله بني أمية وآل سفيان وآل زياد:

فعليك خزي يا أمية دائماً	يبقى كما في النار دام بقاءك
هلا صفحت عن الحسين ورهطه	صفح الوصي أبيه عن آباك
وعففت يوم الطف عفة جده الـ	مبعوث يوم الفتح عن طلقاك
أفهل يد سلبت إماءك مثلما	سلبت كريمات الحسين يداك
أم هل برزن بفتح مكة حسراً	كنسائه يوم الطفوف نساك
لهفي على الجسد المعرى بالعرا	شلوأ تقلّبه حدود ظباك
لهفي لآلك يا رسول الله في	أسر الطغاة نوائحاً وبواك
ما بين نادبة وبين مروعة	في أسر كل معاند أفاك
تالله لا أنساك زينب والعدا	قسراً تجاذب عنك فضل رداك
بالطف حاسرة القناع سلبية الـ	قرطين عزّ على أخيك عراك
تستصرخيه أسي وعز عليه أن	تستصرخيه ولا يجيب نداك ^(١)

ترحيل السبايا والرؤوس إلى الكوفة

روى غير واحدٍ أنّه لما قطع الشمر رأس الحسين عليه السلام كبرّ وكبرت العسكر ثلاث تكبيرات، فتزلزلت الأرض، وأظلم الشرق والغرب، وأخذت الناس الرجفة والصواعق، وأمطرت السماء دماً عبيطاً، وتراباً أحمر، ونادى منادٍ من

(١) الأبيات من القصيدة الغديرية الثالثة لأبي الحسن علي الشهيفي المعروف بابن الشهيفية.

ترحيل السبايا والرؤوس إلى الكوفة.....٤١

السَّاء: «قُتِلَ الإمام ابن الإمام، أخو الإمام، أبو الأئمة الحسين بن علي بن أبي طالب»^(١).

قال أهل السير: «إن عمر بن سعد بعث برأس الحسين عليه السلام في ذلك اليوم - وهو يوم العاشر من المحرم - مع خولي بن يزيد الأصبحي، وحמיד ابن مسلم الأزدي إلى عبید الله بن زياد، وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته وسرحها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو ابن الحاج. فأقبلوا حتى قدموا بها الكوفة، وأقام عمر بن سعد يومه واليوم الثاني إلى الزوال، ثم رحل بمن تخلّف من عيال الحسين عليه السلام، وحمل نساءه على أحلاس الجمال بغير وطاء، مكشّفات الوجوه بين الأعادي ودائع خير الأنبياء، وساقوهنّ كما يُساق سبي التُّرك والروم في أسر المصائب والهموم»^(٢).

وفي الزيارة التي خرجت من الناحية لمولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام: «وسبي أهلك كالعبيد، وصدّوا بالحديد، فوق أفتاب المطيات، يلفح وجوههم حرّ الهاجرات، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق، يُطاف بهم في الأسواق»^(٣).

وروي عن المناقب وابن نما أن عمر بن سعد لما دفع الرأس الشريف إلى خولي بن يزيد ليحمله إلى ابن زياد، أقبل به خولي ليلاً، فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى

(١) انظر: كامل الزيارات: ١٦٠ / ١٩٨، الأمالي (الصدوق): ٦٩٦ / ٩٥١، ولم يذكر الحديث.

(٢) الإرشاد ٢: ١١٣ - ١١٤، بحار الأنوار ٤٥: ٦٢.

(٣) المزار (المشهدى): ٥٠٥، بحار الأنوار ٩٨: ٣٢٢ / ٨.

به إلى منزله، وكانت له امرأتان: أحدهما من بني أسد، والأخرى حضرية يقال لها النوار، فأوى إلى فراشها، فقالت له: ما الخبر؟ فقال: جئتك بالذهب والفضة؛ هذا رأس الحسين معك في الدار. فقالت: ويحك، جاء الناس بالذهب والفضة، وجئت برأس الحسين ابن بنت رسول الله؟ والله لا تجمع رأسي ورأسك وسادة. قالت: فقمتم من فراشي، وخرجت من الدار، فدعا بالأسدية، فما زلت والله أنظر إلى النور مثل عمود الجواهر يسطع من الإجانة التي فيها رأس الحسين إلى عنان السماء، ورأيت طيوراً بيضاً ترفرف حولها^(١).

وفي نقل آخر: إن الرأس الشريف كان بيد شمر (لعنه الله) كما عن الواقدي، قال: «لما حمل شمر رأس الحسين جعله في مخلاة، وذهب به إلى منزله، ووضعه على التراب، وجعل عليه إجانة، فخرجت امرأته ليلاً فرأت نوراً ساطعاً إلى عنان السماء، فجاءت إلى الإجانة، فسمعت أنيناً تحتها، فجاءت إلى الشمر (لعنه الله) وقالت: رأيت كذا وكذا، فأبي شيء تحت الإجانة؟ فقال: رأس خارجي قتلته، وأريد أن أذهب به إلى يزيد؛ ليعطيني عليه مالاً جزيلاً. قالت: ومن يكون؟ قال: الحسين بن علي بن أبي طالب. فصاحت، وخرت مغشياً عليها، فلما أفاقت قالت: يا شر المجوس، أما خفت من إله الأرض والسماء؟ ثم خرجت من عنده باكية، وأخذت الرأس وقبّلته ووضعتة في حجرها، ودعت نساء يساعدنها في البكاء عليه، وقالت: لعن الله قاتلك.

فلما جنّ الليل وغلبها النوم، رأت كأن الحائط قد انشق، وامتلأ البيت نوراً،

(١) مثير الأحزان: ٦٥-٦٦، بحار الأنوار ٤٥: ١٢٥ / ١.

حديث مسلم الجصاص.....٤٣

وجاءت سحابة فإذا فيها امرأتان، فأخذتا الرأس الشريف، فسألت عنهما، فقيل: هما خديجة وفاطمة. قالت: ثم رأيت رجالاً كثيرة، وفي وسطهم رجل وجهه كالقمر ليلة تمامه، فسألت عنه فقيل: محمد ﷺ، وعن يمينه الحمزة وجعفر وأصحابه، وبكوا وقبلوا الرأس، ثم جاءت خديجة وفاطمة إليها وقالتا لها: تمّني ما شئت، فإن لك عندنا منّة ويداها بها فعلت؛ فإن أردت أن تكوني من رفقاتنا في الجنة، فأصلي أمرك؛ فإننا منتظرتاك. فانتبهت من نومها ورأس الحسين في حجرها، فجاء شمر في طلب الرأس، فلم تدفعه إليه، فقالت له: يا عدو الله، طلقني؛ فإنك يهودي، والله لا أكون معك أبداً. فطلقها، فقالت: والله لا أدفع لك هذا الرأس، أو تقتلني. فصر بها ضربة كانت فيها منيتها، وعجل الله بروحها إلى الجنة^(١).

حديث مسلم الجصاص

قال السيد ابن طاووس: «وسار ابن سعد بالسبايا، فلما قاربوا الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهن، قال مسلم الجصاص: دعاني عبيد الله بن زياد إلى إصلاح دار الإمارة بالكوفة، وإذا أنا بالزرعات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت إلى خادم كان معنا فقلت له: مالي أرى الكوفة تضجّ؟ فقال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد. قلت: من هذا الخارجي. فقال: الحسين بن علي بن أبي طالب. فتركت الخادم حتى خرج، فلطمت خدي حتى خشيت على عيني أن تذهب، وغسلت يدي من الجص وخرجت من القصر وأتيت إلى الناس.

(١) انظر شرح إحقاق الحق ٢٧: ٣٤٢ عن التبر المذاب: ١٠١.

فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس، إذ أقبلت نحو من أربعين شقة تحمل على عشرين جملاً فيها الحرم والأطفال، وإذا بعلي بن الحسين على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دمًا، وإذا بصيحة قد ارتفعت، وإذا هم قد أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام، وهو رأس أزهري اللون، قمري الوجه، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، ولحيته كسواد السبيح قد نصل منها الخضاب، ووجهه كدائرة قمر طالع، والريح تلعب بها يميناً وشمالاً. فالتفتت زينب إلى رأس أخيها، فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى رأينا الدماء تسيل من تحت قناعها، وأومت إليه بحرقة قلب وكآبة، وجعلت تقول:

يا هلالاً لما استتم كمالاً	غاله خسفه فأبدا غروبا
ما توهمت يا شقيق فؤادي	كان هذا مقدرًا مكتوبا
يا أخي قلبك الشفيق علينا	ماله قد قسا وصار صليبا
يا أخي فاطم الصغيرة كلم	ها فقد كاد قلبها أن يذوبا
يا أخي لو ترى علياً لدى الأس	ر من اليتم لا يطيق وجوبا
كلما أوجعوه بالضرب نادا	ك بقلب يفيض دمعاً سكوبا
يا أخي ضمّه إليك وقرب	ه وسكن فؤاده المرعوبا
ما أذل اليتيم حين ينادي	بأيه فلا يراه مجيبا

وروي عن رجل من الشيعة قال: كنت في الكوفة وليس لي علم بما جرى على الحسين وعياله، فبينما أنا جالس في سوق الكوفة، ونفسي تحدثني وهي مستوحشة مما أراه من تغير الليل والنهار، وأرى جدران الكوفة كأنها مطلية بدم عبيط، والآفاق مسودة، والجهات متغيرة، وكل من أراه كأن ثيابه ووجهه مطليان بالدم، والناس في حيرة ودهشة عظيمة، ولا أعلم ما سبب ذلك. فبينما

أنا على تلك الحالة، وإذا أنا بتكبير وتهليل، وأصوات عالية ورجّة عظيمة، فقامت لأنظر ماذا، وإذا برؤوسٍ على الرماح مرفوعة، ونساء على الجمال بغير غطاء ولا وطاء، وبنات صغار وجوهن كالقناديل وكل واحدة على جمل مدبر أعجف وشعورهن منشورة، ورؤوسهن منكسة حياء من النساء، وبينهن شاب على جمل وهو مقيد من تحت بطن الناقة وفخذه يشخبان دماً، وهو مكشوف الرأس، عاري من الثياب، وبين الحاملين للرؤوس رجل على رمح رأس، ولم ير عليه أثر القتل، وحامله يتحمس ويقول: أنا صاحب الرمح الطويل، أنا صاحب السيف الصقيل، أنا قاتل ذي الدين الأصيل. فقالت له امرأة من تلك النساء: «وقل يا ويلك: من ناغاه في المهدي جبرئيل. وقل يا ويلك: أنا قاتل محمد المصطفى، وفاطمة الزهراء، والحسن الزكي، وأئمة الهدى، وملائكة السماء، والأنبياء والأوصياء».

فدنوت من واحدة من تلك النساء لأسألهما. فقلت لها: ما هذه الرؤوس، وما هذه النساء؟ فصاحت بي صيحة خلت أنها صاعقة أصابت فؤادي، وهي تقول: «أما تستحي من الله أن تنظر إلينا؟». فسقطت على وجهي مغشياً عليّ، فلما أفقت من غشوتي رأيتهم قد بعدوا عني، فلطمت على وجهي وقلت: هلكت ورب الكعبة. فقامت أعدو حتى وصلت قريباً منها، فتأدّبت بين يديها وأطرقت رأسي حياء منها وأنا أبكي، وهي مشغولة بالبكاء، وأنا أسايرها، ولم أتجرأ على مسألتهما، فالتفتت إليّ وقالت: «ما يبكيك يا رجل؟». قلت: عليكم يا سيدي وعلى ما جرى عليكم، لكن أخبريني من أين أنتم؟ وما هذه الرؤوس المشالة على الرماح؟ فإني أرى لكم هيبة وشأناً جليلاً ينصدع من رؤيتكم قلبي، وعيني

تدمع من رؤيتكم، وما رأيت سبايا كسيبكم، ولا مقتولاً تجري عليه المدامع كـمقتولكم، ولم أعرف من أين أنتم.

فـنكّست رأسها حياء مني، وقالت: «أنا زينب ابنة علي بن أبي طالب، وهذه السبايا بنات رسول الله وبنات علي وفاطمة الزهراء، وذلك الرأس الأزهر المتقدم على الرؤوس رأس الحسين بن علي الذي ذبحوه في أرض كربلاء، وذبحوا أولاده وبنو أخيه وأصحابه عن آخرهم، وهذه رؤوسهم، وذلك الشاب المقيد من تحت بطن الناقة علي بن الحسين إمام العصر بعد أبيه».

فلما سمعت كلامها ضربت رأسي بحجر، ومزقت أطماري، ولطمت وجهي، وقلت: يا سيدي قلع الله عيناً تنظر إليكم بخيانة، فأنا من محبيكم ومواليكم، وعزيز عليّ ما نالكم وما نزل بكم، فيا لهفتاه عليكم وتأسفي على ما أصابكم. فقالت: «إذا كنت محباً لنا فلم لا نصرتنا وحاميت عنا؟». قلت: سوء حظي يا سيدي أخرجني عن نصرتكم.

في قصر الإمارة

ثم أدخلوهم قصر الإمارة، قال المفيد رحمته الله: فلما وصل رأس الحسين ورؤوس أهل بيته، جلس ابن زياد (لعنه الله) في قصر الإمارة، وأذن للناس إذناً عاماً، وأمر بإحضار رأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه في طشت من ذهب، فجعل ينظر إليه ويتبسم ويقول: لقد أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله، وأخذ قضيباً وجعل يضربه على ثناياه، وكان زيد بن أرقم إلى جانبه، وكان شيخاً كبيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رآه يضربه بالقضيب قال له: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين؛ فوالله الذي لا إله إلا هو، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلهما

كثيراً. ثم انتحب باكياً، فقال له ابن زياد: أتبكي لفتح الله لأميرك؟ لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقك لضربت عنقك. فنهض زيد بن أرقم وصار إلى منزله باكياً حزيناً.

قال: وأدخل عيال الحسين على ابن زياد (لعنه الله)، فدخلت زينب أخت الحسين عليها السلام في جملتهم متنكرة، وعليها أرذل ثيابها، حتى جلست في ناحية من القصر، وحفّ بها إماؤها. فقال ابن زياد (لعنه الله): من هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه. فأعاد عليها القول ثانية وثالثة يسأل عنها، فقال له بعض إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله. فأقبل عليها ابن زياد (لعنه الله) وقال: الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أحدوثتكم. فقالت زينب: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وطهرنا من الرجس تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا». فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ فقالت: «ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون وتختصمون عنده».

فغضب ابن زياد واستشاط، فقال عمرو بن حريث: إنها أيها الأمير امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها، ولا تلام على خطابها. فقال لها ابن زياد: قد شفى الله قلبي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك. فرقّت زينب وبكت وقالت: «لعمري لقد قتلت كهلي، وأبدت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت»^(١).

رأس الحسين يتكلم

وروي^(١) عن بعض من حضر اليوم الذي ورد فيه رأس الحسين على ابن زياد قال: رأيت ناراً خرجت من القصر كادت أن تحرقه، فقام ابن زياد من سريريه هارباً حتى دخل بعض البيوت، فتكلم رأس الحسين بصوت فصيح جهوري يسمعه ابن زياد ومن كان معه: «إلى أين تهرب من النار؟ فإن عجزت عنك في الدنيا فإنها في الآخرة مثواك ومصيرك».

قال: فوقع أهل القصر سجداً لما رأوا من رأس الحسين عليه السلام، فلما ارتفعت النار سكت رأس الحسين، فطافوا به سكك الكوفة وقبائلها. فرؤي عن زيد بن أرقم قال: «مروا به عليّ وهو على رمح طويل، وأنا في غرفة لي، فلما حاذاني سمعته يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، فلطمت وجهي وقلت: رأسك أعجب وأعجب يا ابن بنت رسول الله»^(٢).

ومثله ما روي عن الحارث بن وكيدة قال: كنت فيمن حمل رأس الحسين، فسمعته يقرأ سورة الكهف وأنا أشكّ في نفسي وأنا أسمع نغمة أبي عبد الله، فقال: «يا ابن وكيدة، إنا معشر الأئمة أحياء عند ربنا نرزق». قال: فقلت في نفسي: أسرق رأسه. فقال: «يا ابن وكيدة، ليس لك إلى ذلك سبيل. سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييرهم رأسي، فذرهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٣)؛ ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ

(١) مدينة المعاجز ٤: ١٢٣ / ١١٣١.

(٢) مقتل الحسين (المقرّم): ٣٣٢.

(٣) الحجر: ٣، وغيرها.

ترحيل السبايا والرؤوس إلى الشام..... ٤٩

فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿١﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٢﴾ .

وعن ابن شهر آشوب عن أبي مخنف عن الشعبي أنه صلب رأس الحسين في سوق الصيارفة بالكوفة، فتنحج الرأس الشريف وقرأ سورة الكهف إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (٣).

قال: ولما صلبوا رأسه الشريف على الشجرة سُمع وهو يقرأ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٤).

ولما فرغ القوم من الطواف به في الكوفة ردّوه إلى باب القصر (٥). والله درّ من قال:

يا للرجال على قناة يرفع	رأس ابن بنت محمد ووصيه
لا منكر منهم ولا متوجّع	والمسلمون بمسمع وبمنظر
وأصم رزؤك كل أذن تسمع	كحلت بمنظرك العيون عماية
وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع (٦)	أسهرت أجفاناً وكنت لها كرى

ترحيل السبايا والرؤوس إلى الشام

ثم أمر ابن زياد (لعنه الله) فنُصبت الرؤوس كلها على الخشب بالكوفة، وهي

(١) غافر: ٧١.

(٢) دلائل الإمامة: ١٨٨ / ١٠٨ . مدينة المعاجز ٣: ٤٦٢ / ٩٧٩.

(٣) الشعراء: ٢٢٧.

(٤) الكهف: ١٣.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢١٨.

(٦) الأبيات لدعبل الخزاعي. مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٧٠ - ٢٧١.

أول رؤوس صلبت في الإسلام بعد رأس مسلم بن عقيل. وكتب ابن زياد (لعنه الله) إلى يزيد (لعنه الله) يخبره بقتل الحسين وأهل بيته، فلما وصله كتاب ابن زياد أمره بحمل الرأس الشريف، ورؤوس أهل بيته معه، وحمل ثقله ونسائه وعياله. فأرسل ابن زياد رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أهل بيته وأصحابه مع زجر بن قيس، وأنفذ معه أبا بردة بن عوف، وطارق بن ظبيان، وجماعة من أهل الكوفة إلى يزيد (لعنه الله). ثم أمر ابن زياد بنساء الحسين وصبيته فجهزوا، وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه، وفي رواية في يديه ورقبته، ثم سرح بهم في أثر الرؤوس مع محقر بن ثعلبة العائدي وشمر بن ذي الجوشن الضبابي، وحملوهم على الأقتاب، وساروا بهم أسارى كما يسار بسبايا الكفار.

فوا حر قلباه، ووا أسفاه، ووا عجباً لحلم الله، أتسبى بنات رسول الله، وبنات آكلة الأكباد وعواهر مرجانة تصان في الخدور؟ إنه لخطب يذيب صم الصخور، والله درّ من قال:

بنات آكلة الأكباد في كلل	والفاطميات تصلى في الهواجير
وبالعزیز علی الهادي النبي بأن	يرى العزیزات في ذل وتحقير
ورب ذات حجاب من كرائمه	تخاطب القوم في وعظ وتذكير
تدعو وتعلم ما في القوم مستمع	لكنها نفثة من صدر مصدر
الله في رحم للمصطفى قطعت	من بعده وذمام غير مخفور
أمثل شمر لحاه الله يحملنا	شعث النواصي على الأقتاب والكور
ويبلغ السيف في نحر ابن فاطمة	الله ما صنعت أيدي المقادير

قال: وساروا بحرم الرسول سيراً حثيثاً حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس، فلما وصلوا وادي النخيلة نزلوا بها ليلاً وباتوا، فسمعوا نساء الجن

يندبن الحسين عليه السلام وينشدن الأشعار، ويبيكين ويقلن:

نساء الجن أسعدن	نساء الهاشميات
بنات المصطفى أحمد	مد يبيكين شجيات
يولولن ويندبن	بدور الفاطميات
ويلبسن ثياب السو	د من عظم المصبيات
ويندبن حسيناً ع	ظمت تلك الرزيات

في قنسرين بين الشام والعراق

وفي البحار عن كتاب المناقب: لما جاؤوا برأس الحسين عليه السلام، ونزلوا منزلاً يقال له قنسرين، اطلع عليهم راهب من صومعته، فنظر إلى الرأس، فرأى نوراً ساطعاً يخرج من فيه إلى عنان السماء، فأتاهم بعشرة آلاف درهم وسألهم أن يدفعوا له الرأس ليكون عنده إلى وقت رحيلهم. فقالوا: نعم. وأخذ الرأس الشريف وأدخله صومعته، فسمع صوتاً ولم يرَ شخصاً وهو يقول: «طوبى لك ولمن عرف حرمتك». فرفع الراهب صوته وقال: يا رب، بحق عيسى تأمر هذا الرأس بالتكلم معي. فتكلم الرأس وقال: «يا راهب، أي شيء تريد؟». قال: من أنت؟ قال: «أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، وأنا المقتول بكر بلاء، وأنا المظلوم بكر بلاء، أنا العطشان الغريب».

فوضع الراهب وجهه على وجهه وقال: والله لا أرفع وجهي حتى تقول: أنا شفيعك يوم القيامة. فتكلم الرأس الشريف وقال: «ارجع إلى دين جدي محمد صلى الله عليه وآله». فقال الراهب: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فقبل له الشفاعة.

فلما أصبحوا، أخذوا منه الدراهم والرأس الشريف، فلما بلغوا الوادي نظروا

إلى الدراهم فإذا هي قد صارت حجارة^(١).

في دير النصارى

وروي عن أبي سعيد الشامي قال: كنت يوماً مع الكفرة اللثام الذين حملوا الرأس والسبايا إلى الشام، فلما وصلوا إلى دير النصارى بلغهم أن نصراً الخزاعي قد جمع عسكرياً ويريد أن يهجم عليهم نصف الليل، ويقتل الأبطال، ويجدّل الشجعان، ويأخذ الرؤوس والسبايا. فقال رؤساء العسكر من عظم اضطرابهم: نلجأ الليلة إلى الدير ونجعله كهفاً لنا؛ لأن الدير كان محكماً لا يقدر أن يتسلط عليه العدو. فوقف شمر (لعنه الله) مع أصحابه على باب الدير وقال: يا أصحاب الدير. فخرج إليه القسيس، فلما رأى العسكر قال لهم: ما شأنكم؟ وما تريدون؟ فقال شمر: نحن من عسكر عبيد الله بن زياد، ونحن سائرون إلى الشام. فقال القسيس: لأي غرض؟ قال: كان شخص في العراق قد تباغى وخرج على يزيد بن معاوية، فبعث إليهم عسكرياً عظيماً فقتلوه، وهذه رؤوسهم، وهذه النسوة سييهم. قال: فلما نظر القسيس إلى رأس الحسين وإذا بالنور ساطع منه إلى عنان السماء، فوقع في قلبه هيئته، وقال القسيس: ديرنا لا يسعكم ولكن ادخلوا الرؤوس والسبايا إلى الدير وأحيطوا أنتم بالدير من خارج، فإذا دهمكم عدو فقاتلوه ولا تكونوا مضطربين على الرؤوس والسبايا. فاستحسنوا كلام القسيس، وقالوا: هذا هو الرأي. فجلعوا رأس الحسين في صندوق وقفلوه وأدخلوه إلى الدير هو والنساء وزين العابدين، وجعلوهم في

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٣٠٣ - ٣٠٤ / ٣.

مكان يليق بهم. قال: ثم إن صاحب الدير أراد أن يرى الرأس الشريف وجعل ينظر حول البيت الذي فيه الصندوق، وكان له رازونة، فنظر منها فرأى في البيت نوراً مشرقاً، ورأى سقف البيت قد انشق، ونزل من السماء تحت عظيم، وإذا بامرأة عظيمة الشأن أحسن من الحور العين جالسة على ذلك التخت، وإذا بشخص يصيح: أطرقوا ولا تنظروا، وإذا قد خرجت من البيت نساء، وإذا هنَّ حوَّاء وصفية وأم إسماعيل وأم موسى ومريم وآسية. قال: فأخرجن الرأس من الصندوق وكل من تلك النساء واحدة بعد واحدة تقبل الرأس الشريف، فلما وقعت النوبة على مولاتي فاطمة غُشي عليها وعلى صاحب الدير، وعاد لا ينظر بالعين بل يسمع الكلام، وإذا بقائلة تقول: «السلام عليك يا مظلوم الأم، السلام عليك يا شهيد الأم، لا يتداخلك هم ولا غم؛ فإن الله سيفرج عني وعنك يا بني. من ذا الذي فرّق بين رأسك وبدنك يا بني؟ من ذا الذي قتلك وظلمك يا بني؟ من ذا الذي سبى حريمك يا بني؟ من ذا الذي أيتّم أطفالك؟».

ثم إنها بكت بكاءً شديداً. فلما سمع الديراني اندهش ووقع مغشياً عليه، فلما أفاق من غشيته نزل إلى البيت وكسر الصندوق، وأخرج الرأس، وغسّله وقبّله، وحنّطه بالكافور والزعفران، ووضع في قبلته وهو يبكي ويقول: يا رأس أجّل من كل رؤوس بني آدم، ويا كريم ويا عظيم جميع من في العالم، أظنك من الذين مدحهم الله في التوراة والإنجيل، وأنت الذي أعطاك التأويل؛ لأن خواتين سادات بني آدم في الدنيا يبكين عليك ويندبنك، أما إني أريد أن أعرفك باسمك ونعتك. فنطق الرأس الشريف بقدره الله تعالى وقال: «أنا المظلوم، أنا المغموم، أنا الذي بسيف العدوان والظلم قُتلت، أنا الذي بحرب أهل البغي ظُلمت، أنا

الذي على غير جرم نهبت، أنا الذي من الماء مُنعت، أنا الذي عن الأوطان
بُعدت».

قال صاحب الدير: بالله عليك زدني. فقال: «إن كنت تريد حَسْبِي ونَسْبِي،
فأنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن
خديجة الكبرى، أنا ابن العروة الوثقى، أنا شهيد كربلاء، أنا قتيل كربلاء، أنا
غريب كربلاء، أنا مظلوم كربلاء، أنا عطشان كربلاء، أنا وحيد كربلاء، أنا
سليب كربلاء، أنا الذي خذلوني بأرض كربلاء».

قال: فلما سمع صاحب الدير من رأس الحسين ذلك جمع أصحابه وحكى لهم
الحكاية، وكانوا سبعين رجلاً، فضجوا بالبكاء والعيول ورموا العمام عن
رؤوسهم، وشقوا أزياقهم، وجاءوا إلى زين العابدين وقد قطعوا الزنار،
وكسروا الناقوس، واجتنبوا فعل اليهود والنصارى، وأسلموا على يديه وقالوا:
يا بن رسول الله ﷺ مرنا أن نخرج إلى هؤلاء الكفار ونقاتلهم ونجلي صدق
قلوبنا، ونأخذ بثأر سيدنا ومولانا الحسين ابن علي. فقال لهم الإمام: «لا تفعلوا؛
فإنهم عن قريب ينتقم الله منهم ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر»^(١).

ومن ذلك ما روي عن ابن لهيعة قال: كنت أطوف بالكعبة، وإذا أنا برجل
يقول: اللهم اغفر لي، وما أراك تفعل. فقلت له: اتق الله، ولا تقل هذا ونحوه؛
فإن ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار أو ورق الأشجار واستغفرت الله تعالى
غفرها الله لك؛ فإنه غفور رحيم. قال: فقال لي: أخبرك بقصتي، اعلم أنا كنا
خمسين نفرًا ممن سار برأس الحسين إلى الشام، وكنا إذا مشينا وضعنا الرأس في

(١) مدينة المعاجز ٤: ١٢٦-١٣٠.

تابوت وشربنا الخمر حول التابوت، فشرّب أصحابي ليلة حتى سكرُوا فلم أشرب معهم، فلما جنّ الليل، سمعت رعداً ورأيت برقاً، وأبواب السماء قد فتحت، ونزل آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنينا محمد ﷺ، ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة، فدنا جبرئيل من التابوت وأخرج الرأس وضّمّه إليه وقبّله، وكذلك فعل الأنبياء، فقال جبرئيل: «يا محمد، إن الله تعالى أمرني أن أطيعك في أمّتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض، وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط». فقال النبي ﷺ: «لا يا جبرئيل؛ فإن لي معهم موقفاً يوم القيامة بين يدي الله تعالى».

ثم صلوا عليه، ثم أتى قوم من الملائكة وقالوا: إن الله تبارك وتعالى أمرنا بقتل الخمسين. فقال النبي محمد ﷺ: «شأنكم بهم». فجعلوا يضربونهم بالحراب، فقصدني واحد منهم بحربة ليضربني، فقلت: الأمان الأمان يا رسول الله. فقال: «اذهب فلا غفر الله لك». فلما أصبحت رأيت أصحابي جاثمين رماداً^(١).

وروي عن القطب الراوندي بإسناده إلى سلمان بن مهران قال: بينما أنا في الطواف، إذ رأيت رجلاً يدعو ويقول: اللهم اغفر لي، وأنا أعلم أنك لا تفعل. فارتعدت لذلك فرائصي، فدنوت منه وقلت: يا هذا، إنك في حرم الله وحرم رسوله في شهر عظيم، فلم تياس من مغفرة الله تعالى؟ فقال: يا هذا ذنبي عظيم. قلت: أعظم من جبل تهامة؟ قال: أعظم. قلت: يوازن الجبال الرواسي؟ فقال: نعم، فإن شئت أخبرتك. قلت: أخبرني. قال: اخرج بنا عن الحرم. فخرجت

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٢٥-١٢٦ / ١.

معه، فقال: أنا أحد العسكر المشوم، عسكر عمر بن سعد (لعنه الله) حين قتل الحسين، وكنت أحد الأربعين الذين حملوا رأس الحسين إلى يزيد (لعنه الله) من الكوفة، فلما حملناه إلى الشام نزلنا على دير النصارى، وكان الرأس معنا مركوزاً على رمح طويل ومعه الحراس، فوضع لنا طعام لنأكل، فإذا بكف على حائط الدير تكتب:

أترجوا أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب

قال فجزعنا جزعاً شديداً، وأهوى بعضنا إلى الكف ليأخذها، فغابت ثم عاد أصحابي ليأكلوا الطعام، وإذا بالكف قد عادت تكتب:

فلا والله ليس لهم شفاعته وهم يوم القيامة في العذاب

فقام بعض أصحابنا إليها ليأخذوها، فغابت، فعادوا إلى الطعام، فعادت تكتب:

وقد قتلوا الحسين بحكم جور وخالف حكمهم حكم الكتاب

فامتنت من الطعام، وما هنا لي أكل ولا شرب. ثم أشرف علينا راهب من الدير فرأى نوراً ساطعاً من فوق الرأس الشريف، فنظر فرأى عسكرياً، فقال للحراس: من أنتم؟ ومن أين جئتم؟ قالوا: من العراق، حاربنا الحسين. قال: ابن فاطمة بنت نبيكم وابن عم نبيكم؟ قالوا: نعم. قال: تبا لكم، والله لو كان لعيسى بن مريم ابن حملناه على أعناقنا، ولكن لي إليكم حاجة. قالوا له: وما هي؟ قال: قولوا لرئيسكم: عندي عشرة آلاف درهم ورثتها من آبائي، يأخذها ويعطيني الرأس يكون عندي إلى وقت الرحيل. فجاؤوا إلى ابن سعد وأخبروه. فقال: خذوا منه الدراهم، وادفعوا إليه الرأس إلى وقت الرحيل. فجاؤوا إلى

الراهب فقالوا له: هاتنا المال؛ حتى نعطيك الرأس. فأدلى لهم جرابين في كل جراب خمسة آلاف درهم، فدعا ابن سعد بالناقد والوازن ووزنوها، ودفعها إلى خازن له، وأمر أن يعطى الرأس.

فأخذ الراهب الرأس، فغسله وحنّطه، وحشاه بمسك وكافور، ثم جعله في حرير، ووضعها في حجره، ولم يزل ينوح ويبكي حتى نادوه وطلبوا منه الرأس، فقال: يا بن رسول الله، لا أملك إلا نفسي، فإذا كان يوم القيامة فاشهد لي عند جدك رسول الله أني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أسلمت على يدك وأنا مولاك. ثم قال: إني أحتاج أن أكلم رئيسكم بكلمة، وأعطيه الرأس، فدعا عمر بن سعد (لعنه الله) وقال: سألتك بالله ألا تعود إلى ما كنت تفعل بهذا الرأس، ولا تخرجه من هذا الصندوق، فأعطاه الرأس، وسار ابن سعد (لعنه الله)، فلما دنا من دمشق قال لأصحابه: انزلوا، وطلب من خازنه الجرابين، فأحضرها بين يديه، فنظر إلى خاتمه ثم أمر أن يفتح، فإذا بالدنانير قد تحوّلت خزفاً، فنظر في سكتها فإذا على جانبها مكتوب: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾^(١). وعلى الجانب الآخر مكتوب: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢).

قال ابن سعد: إنا لله وإنا إليه راجعون، خسرت الدنيا والآخرة. ثم قال لغلمايه: اطرحوها في النهر. فطُرحت في النهر، ورحل إلى دمشق^(٣).

(١) إبراهيم: ٤٢.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ١٨٤ - ١٨٦.

على باب دمشق

قال السيد ابن طاووس: فلما قاربوا دمشق، دنت أم كلثوم من الشمر (لعنه الله) وكان في جملتهم، فقالت له: لي إليك حاجة. فقال الملعون: ما حاجتك؟ قالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في طريق قليل النظارة، وأن يخرجوا هذه الرؤوس من بين تلك المحامل، ويتنحوا بها عنا؛ فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحالة. فأمر (لعنه الله) في جواب سؤالها أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل، وسلك بهم بين النظارة على تلك الحالة، حتى أتى بهم إلى دمشق^(١).

وروي عن الزهري أنه لما جاءت الروس، كان يزيد (لعنه الله) في منظره جيرون، فأنشد يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على ربي جيرون
نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح إني قضيت من النبي ديوني^(٢)

في الشام وحديث الشهرزوري

وروي عن سهل بن سعيد قال: خرجت إلى بيت المقدس حتى توسّطت الشام، وإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار، وقد علّقوا الستور والحجب من الديباج والحريز، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: أترى لأهل الشام عيد لا نعرفه نحن؟ فرأيت قوماً يتحدثون،

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ١٠١-١٠٢. باختلاف في بع ض مفرداتها.

(٢) لواعج الأشجان: ٢١٨، أعيان الشيعة ١: ٦١٥.

فقلت: يا قوم، ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟ قالوا: نراك غريباً. فقلت: نعم، أنا سهل بن سعيد، قد رأيت رسول الله، وسمعت حديثه. فقالوا: يا سهل، ما أعجبك للساء لا تمطر دماً، وللأرض لا تنخسف بأهلها؟ فقلت: ولم ذلك؟ فقالوا: هذا رأس الحسين، وعتره محمد وأهله يهدى من أرض العراق. قلت: واعجابه، يهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟ ثم قلت: من أي باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب الساعات.

فبينما أنا كذلك حتى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً، فإذا بفارس بيده لواء منزوع السنان، عليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله ﷺ، فإذا من ورائه نساء على جمال بغير غطاء ولا وطاء، فدنوت من أولهم فقلت: يا جارية من أنت؟ فقالت: «أنا سكينه بنت الحسين». فقلت لها: ألك حاجة؟ فإني سهل بن سعيد ممن رأى رسول الله وسمع حديثه. قالت: «يا سهل، قل لصاحب هذا الرأس أن يقدم الرأس أمامنا؛ حتى يشتغل الناس بالنظر إليه، ولا ينظروا إلى حرم رسول الله».

قال سهل: فدنوت من حامل الرأس وقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي، وتأخذ مني أربعمئة دينار؟ قال: وما هي؟ فقلت: تُقدّم الرأس أمام الحرم. ففعل^(١).

وفي نقل آخر كما في المنتخب قال: خرجت من شهرزور أريد بيت المقدس، فصادف خروجي أيام قتل الحسين عليه السلام، فدخلت الشام فرأيت الأبواب مفتحة،

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٢٧-١٢٨.

والدكاكين مغلقة، والخيل مسرجة، والأعلام منشورة، والناس أفواجاً أفواجاً قد امتلأت منهم الطرق والسكك والأسواق، وهم في أحسن زينة يفرحون ويضحكون. فقلت لبعضهم: أظن حدث لكم عيد لا نعرفه. قالوا: لا. قلت: فما بال الناس كافة فرحين مسرورين؟ قالوا: أنت غريب، أم لا عهد لك بالبلد؟ قلت: نعم، فماذا؟ قالوا: فتح لأمير المؤمنين يزيد فتح عظيم. قلت: وما هذا الفتح؟ قالوا: خرج عليه في أرض العراق خارجي، والمنة لله ولرسوله. قلت: ومن هذا الخارجي؟ قالوا: الحسين بن علي بن أبي طالب. قلت: الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟! قالوا: نعم. قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن هذا الفرخ والزينة لقتل الحسين ابن بنت نبيكم؟ وما كفاكم قتله حتى سميتموه خارجياً؟ فقالوا: يا هذا، أمسك عن هذا الكلام، واحفظ نفسك؛ فإنه ما من أحد يذكر الحسين بخير إلا قُتل.

فسكت عنهم باكياً حزيناً. قال: فرأيت باباً عظيماً قد دخلت فيه الأعلام والطبول، فقالوا: الرأس يدخل من هذا الباب. فوقفت هناك، فكلما تقدموا بالرأس الشريف كان أشد لفرحهم، وارتفعت أصواتهم، وإذا برأس الحسين والنور يسطع من فيه إلى عنان السماء كنور رسول الله، فلطمت على وجهي، وقطعت أطماري، وعلا بكائي ونحيبي، وقلت: واحزنناه على الأبدان السليبية النازحة عن الأوطان المدفونة بلا غسل ولا أكفان، واحزنناه على الخدّ التريب والشيب الخضيب، يا رسول الله ليت عينك ترى رأس الحسين في دمشق يطاف به في الأسواق، وبناتك مشهرات على النياق، مشققات الجيوب والأزياق، ينظر إليهم شرار الفساق. أين علي بن أبي طالب يراكم على هذه الحالة؟

ثم بكيت، وبكى لبكائي من سمع منهم صوتي، وأكثرهم لا يفتنون بي؛ لكثرتهم وشدة فرحهم، واشتغالهم بفرحهم وسرورهم، وارتفاع أصواتهم، وإذا بنسوة على الأقتاب بغير وطاء ولا ستر، وقائلة منهن تقول: «واحمداه، واعلياه، واحسناه، واحسيناه، لو رأيتم ما حلّ بنا من الأعداء؟ يا رسول الله، بناتك أسارى كأنهن أسارى بعض اليهود والنصارى، وهي تنوح بصوت يقرح القلوب على الرضيع الصغير، والشيخ الكبير، والمذبوح من القفا ومهتوك الخبا، العريان بلا ردا. واحزنه لما نالنا أهل البيت؛ فعند الله نحتسب مصيبتنا».

قال: فتعلّقت بقائمة المحمل، وناديت بأعلى صوتي: السلام عليكم يا أهل بيت محمد ورحمة الله وبركاته. وقد عرفت أنها أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فقالت: «من أنت أيها الرجل الذي لم يسلم علينا أحد غيرك منذ قُتل أخي وسيدي الحسين؟». فقلت لها: يا سيدتي، أنا رجل من شهرزور، واسمي سهل، قد رأيت رسول الله وسمعت حديثه، وأنا من محبيكم. قالت: «يا سهل، ألا ترى ما صنع بنا؟ أما والله لو عشنا في زمان لم ير فيه محمد ما صنع بأهله بعض هذا. قُتل والله أخي وسيدي الحسين، سُبينا كما تسبى العبيد والإماء، ومُحِلنا على الأقتاب بغير وطاء ولا ستر ولا غطاء كما ترى». فقلت: يا سيدتي، يعزّ والله على جدّك وأبيك وأمك وأخيك. فقالت: «يا سهل، اشفع لنا عند صاحب المحمل أن يتقدّم بالرؤوس ليشغل النظارة بها عنّا، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا». فقلت: حباً وكرامة، ثم تقدّمت إليه وسألته بالله وبالغت معه فانتهرني ولم يفعل.

قال سهل: وكان معي رفيق نصراني يريد بيت المقدس، فكشف الله عن

بصره، فسمع رأس الحسين وهو يقرأ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾. فأدرسته السعادة، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. ثم انتضى سيفه، وحمل على القوم، وجعل يضرب فيهم، فقتل منهم جماعة وهو يبكي، فتكاثروا عليه فقتلوه. فقالت أم كلثوم: «ما هذه الصيحة؟». فحكيت لها الحكاية، فقالت: «واعجبا، النصرارى يحتشمون لدين الإسلام، وأمة محمد والذين هم يزعمون أنهم على دين محمد يقتلون أولاده ويسبون حريمه؟ ولكن العاقبة للمتقين»^(١).

وروي عن بعض فضلاء التابعين - وهو خالد بن معدان - لما شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام منع نفسه شهراً عن جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد أن فقدوه، سأله عن سبب ذلك، فقال: ألا ترون إلى ما نزل؟ ثم أنشأ يقول:

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد	مترملاً بدمائمه ترميلاً
وكأنما بك يا بن بنت محمد	قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولما يرقبوا	في قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما	قتلوا بك التكبير والتهليلاً ^(٢)

في مجلس يزيد (لعنه الله)

قال الراوي: ثم أدخل ثقل الحسين عليه السلام ونساؤه، ومن تخلف من أهل بيته على يزيد (لعنه الله)، وهم مقرنون بالحبال، وزين العابدين مغلول اليدين، فلما

(١) روضة الواعظين: ١٩٥، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٦٣، باختلاف في ترتيب الأبيات فيه، مشير الأحران: ٨٧.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ١٠٢، بحار الأنوار ٤٥: ١٢٨ - ١٢٩ / ١، أعيان الشيعة ١:

أوقفوهم بين يدي يزيد وهم على تلك الحالة قال له علي بن الحسين عليه السلام:
«أشدك يا يزيد، ما ظنك برسول الله لو يرانا ونحن على هذه الحالة؟».

فلم يبق في القوم أحد إلا بكى، فأمر يزيد بالحبال ففُطِّعت، ثم وُضع رأس الحسين بين يديه في طشت، وأجلس النساء خلفه؛ لئلا ينظرنه. ولما وُضع رأس الحسين ورؤوس أهل بيته بين يدي يزيد (لعنه الله) جعل ينشد ويقول شامتاً:
صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيا فإنا يفرين هاماً ومعصماً
أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواضب في أيماننا تقطر الدما
نفلق هاماً من رجال أعزّة علينا وقد كانوا أعقّ وأظلماً

ودعا بقضيب خيزران، وجعل ينكث به ثنايا الحسين عليه السلام، ويقول: يوم بيوم بدر. وكان عنده أبو بردة الأسلمي فقال: وَيْحَكَ يا يزيد، أتنكث بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة، أشهد لقد رأيت النبي يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن وهو يقول: «أنتم سيدا شباب أهل الجنة، قتل الله قاتليكما، وأعد له جهنم وساءت مصيراً». فغضب يزيد، وأمر بإخراجه، فأخرج سحياً.

ولما رأت فاطمة وسكينة رأس أبيهما بين يدي يزيد يضربه بالخيزران صحن، فصاحت نساء يزيد، وولولن بنات معاوية، فقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام:
«أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟». فبكى الناس، وبكى أهل داره، وعلت الأصوات.

وأما زينب ابنة علي عليه السلام فإنها لما رآته أهوت إلى جيبها فشقتته، ثم نادت بصوت حزين يقرح القلوب: «يا حسينا، يا حبيب رسول الله، يابن مكة ومنى، يابن فاطمة الزهراء، يابن بنت المصطفى». فأبكت والله كل من كان حاضراً،

ويزيد ساكت^(١).

وفي رواية سهل قال: خرجت جارية من قصر يزيد، فرأته ينكث ثنايا الإمام. فقالت: قطع الله يدك ورجلك، أتنكث ثنايا طالما قبلها رسول الله؟ إني كنت بين اليقظة والنوم، إذ نظرت إلى باب من السماء وقد فُتح، وإذا أنا بسلم من نور قد نزل من السماء إلى الأرض، وإذا بغلامين أمردين عليهما ثياب خضر، وهما ينزلان على ذلك السلم، وقد بسط لهما بساط من زبرجد الجنة، وقد أخذ نور ذلك البساط من المشرق إلى المغرب، وإذا برجل رقيق القامة، مدور الهامة، قد أقبل يسعى حتى جلس على ذلك البساط، فنادى: «يا أبي آدم اهبط». فهبط رجل من السماء دري اللون. ثم نادى: «يا أبي سام اهبط». فهبط، ثم نادى: «يا أبي إبراهيم اهبط». فهبط، ثم نادى: «يا أخي موسى اهبط». فهبط، ثم نادى: «يا أخي عيسى اهبط». فهبط.

ثم رأيت امرأة واقفة وقد نشرت شعرها، وهي تنادي: «يا أمي حواء اهبطي، يا أمي خديجة اهبطي، يا أمي هاجر اهبطي، يا أختي سارة اهبطي، يا أختي مريم اهبطي».

وإذا بهاتف من الجو يقول: هذه فاطمة بنت محمد المصطفى، وزوجة علي المرتضى، وأم سيد الشهداء المقبور بكر بلاء. ثم إنها نادى: «يا أبتاه، أما ترى إلى ما صنعت أمتك بولدي الحسين؟». فبكى رسول الله ﷺ وقال: «يا أبي آدم، ألا

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ١٠٣ - ١٠٤، بحار الأنوار ٤٥: ١٣١ - ١٣٢ / ١، أعيان

ترى ما فعلت الطغاة بولدي الحسين؟». فبكى آدم، وبكى كل من كان حاضراً، حتى بكت الملائكة لبكائهم. ثم رأيت رجالاً كثيرة حول الرأس الشريف. فأمر يزيد بضرب عنقها، وأمر أن يُصلب الرأس على باب داره، وأمر بأهل بيت الحسين، فأدخلوا إلى داره. فلما دخلت النسوة إلى دار يزيد، لم يبق أحد من آل معاوية وآل أبي سفيان إلا استقبلهن بالبكاء والصراخ. وخرجت هند بنت عبد الله بن كرز حتى شقت الستر وهي حاسرة، فوثبت إلى يزيد وقالت: يا يزيد، أراس ابن فاطمة مصلوب على باب داري وهو وديعة رسول الله؟ فوثب إليها يزيد وغطاها، وقال: نعم، فأعولي يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله وصرخة قريش، عجل عليه ابن مرجانة، فقتله (قتله الله) ^(١).

وبقي رأس الحسين مصلوباً ثلاثة أيام. وسمع صوت الرأس الشريف بدمشق يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله». ويقرأ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ^(٢). فأمر يزيد (لعنه الله) بنساء الحسين مع علي بن الحسين، فحبسوا في دار لا تكنهم عن حرٍّ ولا برد حتى تقشرت وجوههم.

وكان (لعنه الله) في مدة إقامتهم في ذلك السجن قد عرضهم مراراً عديدة في مجلسه. فأحضرهم ذات يوم، وكان يلبس النعل من الذهب، وأقبل على علي بن الحسين وقال: يا غلام، أنت الذي أبوك أراد خلافتي وملكتي، فالحمد لله الذي سفك دمه. فقال له علي بن الحسين: «من كان أحق بالخلافة، أنت أم هو، وهو

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٤٢ - ١٤٣ / ١.

(٢) الكهف: ٩.

ابن بنت نبيكم؟ ولكن جرت الأشياء بتقدير الله عز وجل، أما سمعت قوله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(١)».

فغضب يزيد (لعنه الله) وقال: خذوه واضربوا عنقه. فبكى علي بن الحسين ونظر إلى السماء وأنشأ يقول:

«أناجيك يا جداه يا خير مرسل حبيبك مقتول ونسلك ضايع
أقاد ذليلاً في دمشق مكبلاً ومالي من بين الخلايق شافع
لقد حكموا فينا اللثام وشتتوا لنا شملنا من بعد ما كان جامعاً»

قال: فتعلقت به عمّاته، فقالت أم كلثوم: يا يزيد، أما كفاك ما فعلت بنا، وقد أرويت الأرض من دماننا أهل البيت؟ وقد بقي هذا العليل، تريد أن تقطع نسل رسول الله؟ فأبكت كل من كان حاضراً. فقال له بعض جلسائه: سألتك بالله يا يزيد إلا عفوت عنه، فإنه صغير السن، ولا يجب عليه القتل. فأمر بتخليته.

ثم إن علي بن الحسين أقبل على يزيد وقال: «سألتك بالله إن أردت قتلي فابعث مع هذه النسوة من يردهنّ إلى حرم جدهن رسول الله». فضجّ الناس بالبكاء والنحيب. فخشي يزيد الفتنة، وقال: يا غلام، طب نفسك وقرّ عيناً، فوالله ما يوصلهنّ سواك.

وفي البحار عن المدائني: لما انتسب السجاد إلى النبي، قال يزيد لجلوازه: أدخله في هذا البستان، واقتله وادفنه فيه. فدخل به البستان وجعل يحفر والسجاد يصلي. فلما همّ بقتله، ضربته يد من الهوى فخرّ لوجهه وشهق ودهش،

فراه خالد بن يزيد وليس لوجهه بقية، فانقلب إلى أبيه وقصّ الخبر عليه، فأمر يزيد بدفن الجلواز في الحفيرة التي حفرها، وأمر بإطلاق زين العابدين، ووسّع في حبسه^(١).

حديث هند زوجة يزيد

وفي الكتاب المذكور عن هند زوجة يزيد قالت: أخذت مضجعي فرأيت باباً من السماء قد فُتح، والملائكة ينزلون كتائب كتائب على رأس الحسين، وهم يقولون: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله. فبينما أنا كذلك إذ نظرت إلى سحابة قد نزلت من السماء، وفيها رجال كثيرون، وفيهم رجل درّي اللون، قمري الوجه، فأقبل حتى انكب على ثنايا الحسين يقبلها وهو يقول: «يا ولدي قتلوك، أتراهم ما عرفوك؟ ومن شرب الماء منعوك. يا ولدي أنا جدك رسول الله، وهذا أبوك علي المرتضى، وهذا أخوك الحسن، وهذا عمك جعفر، وهذا الحمزة والعباس». ثم جعل يعدد أهل بيته واحداً بعد واحد.

قالت هند: فانتبعت من نومي فزعة مرعوبة، فإذا بنور قد انتشر على رأس الحسين، فجعلت أطلب يزيد، وإذا به قد دخل في بيت مظلم، وقد أدار وجهه إلى الحائط وهو يقول: ما لي ولقتل الحسين؟ ووقعت عليه المموم والغموم، فقصصت عليه المنام، فلما أصبح، استدعى بحرم الحسين وقال لهن: أيما أحب إليكن، المقام عندي، أو الرجوع إلى المدينة؟ فقلن: نحبّ أولاً أن ننوح على الحسين. قال اللعين: افعلوا ما بدا لكم. ثم أخليت لهنّ الحجر والبيوت في دمشق الشام، فلم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلا ولبست السواد، وندبوا

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٧٦.

يتيمة الحسين تطلب أباه

وفي المنتخب أنه كان للحسين بنت عمرها ثلاث سنين، ومن يوم استشهد الحسين عليه السلام ما بقيت تراه، فعظم ذلك عليها، واستوحشت لذلك، وكانت كلما طلبت أباهما قالوا لها: غداً يأتي ومعه ما تطلبين. إلى أن كانت ليلة من الليالي رأت أباهما بنومها، فلما انتبهت جزعت جزعاً شديداً، وصاحت وبكت وانزعجت، فهجعوها وقالوا: ما هذا البكاء والعيول؟ فقالت: ايتوني بوالدي وقرّة عيني. وكلما هجعوها، ازدادت حزناً وبكاءً، فعظم ذلك على أهل البيت، فضجوا بالبكاء والنحيب، وجدّدوا الأحزان، ولطموا الخدود، وحثوا على رؤوسهم التراب، وقام الصياح.

وسمع يزيد صيحتهم وبكاهم، فقال: ما الخبر؟ فقالوا: إن بنت الحسين الصغيرة رأت أباهما بنومها، وهي تطلبه وتبكي وتصيح. فلما سمع يزيد ذلك قال: ارفعوا إليها رأس أبيها، وضعوه بين يديها؛ لتنظر إليه وتتسلّى به. فجاؤوا بالرأس الشريف إليها، ووضعوه بين يديها مغطىً بمنديل ديبقي، وكُشف عنه الغطاء، فرأت الرأس الشريف، فقالت: ما هذا الرأس؟ فقالوا لها: هذا رأس أبيك الحسين. فرفعته من الطشت حاضنة له، وهي تقول: يا أبتاه، من ذا الذي خضّبك بدمائك؟ يا أبتاه، من ذا الذي قطع ويريدك؟ يا أبتاه، من ذا الذي أيتمني على صغر سني؟ يا أبتاه، من بقي بعدك نرجوه؟ يا أبتاه، من لليتيمة حتى تكبر؟

يا أبتاه، من للنساء الحاسرات؟ يا أبتاه، من للأرامل المسبيات؟ يا أبتاه، من للعيون الباكيات؟ يا أبتاه، من للضائعات الغريبات؟ يا أبتاه، من للشعور المنشورات؟ يا أبتاه، من بعدك واخيبتاه! يا أبتاه، من بعدك واضيعته؟ يا أبتاه، ليتني لك الفداء ولا أرى شيبك مخضباً بالدماء، يا أبتاه، ليتني قبل هذا اليوم عمياء، يا أبتاه، ليتني وسدت الثرى، ولا أرى شيبك مخضباً بالدماء.

ثم وضعت فمها على فم الشهيد المظلوم، وبكت حتى غشي عليها، فما حرّكوها إلا وقد فارقت روحها الدنيا. فلما رأى أهل البيت ما جرى، أعلنوا بالبكاء، وجددوا الأحزان والعزاء، وكذلك كل من حضر من أهل دمشق، فلم ير في ذلك اليوم إلا باكٍ وباكية^(١).

من قتل الحسين عليه السلام؟

وفي خبر أبي مخنف بعد ذكر خطبة الإمام زين العابدين واحتجاجاته على يزيد، وأمره بضرب عنق المؤذن، قال: ثم إن أهل الشام كأنهم نيام فانتبهوا، وعطّلوا الأسواق، وأظهروا المصيبة لأهل العباء عليه السلام، وقالوا: والله يا سيدنا، ما علمنا أنه رأس الحسين، وإنما قيل: رأس خارجي خرج بأرض العراق. فلما سمع يزيد ذلك، استعمل الأجزاء من القرآن، وفرّقها في المساجد، وكانوا إذا فرغوا من صلاتهم وضعوها بين أيديهم؛ ليشغلوا بها عن ذكر الحسين، فلم يشغلهم عن ذكره شيء، فأمر يزيد (لعنه الله) بإحضارهم، وقام خطيباً، وقال:

(١) المنتخب: ١٣٦ - ١٣٧.

يا أهل الشام، أنتم تقولون: أنا قتلت الحسين، أو أنا أمرت بقتله، وإنما قتله ابن مرجانة. ثم استدعى بالذين حضروا قتل الحسين فحضروا بين يديه، فالتفت إلى شيبث بن ربعي وقال له: أنت قتلت الحسين، أم أنا أمرتك بقتله؟ فقال (لعنه الله): والله ما أنا قتلته، ولعن الله من قتله. قال: فمن قتله؟ قال: قتله المصابر بن وهيبة. فالتفت إليه يزيد وقال له: أنت قتلت الحسين أم أنا أمرتك بقتله؟ قال: لا والله ما قتلته، ولعن الله من قتله. قال: فمن قتله؟ قال: قتله شمر بن ذي الجوشن الضبابي. فالتفت إليه يزيد (لعنه الله) وقال له: أنت قتلت الحسين، أم أنا أمرتك بقتله؟ قال: لا والله ما قتلته، ولعن الله من قتله. فقال: من قتله؟ قال: قتله سنان بن أنس النخعي. فالتفت إليه وقال: أنت قتلت الحسين، أم أنا أمرتك بقتله؟ قال: لا. قال: فمن قتله؟ قال: خويلب بن يزيد الأصبحي. فقال له: أنت قتلته، أم أنا أمرتك بقتله؟ قال: لا، ولعن الله من قتله.

قال يزيد (لعنه الله): ويلكم إنما يحيل بعضكم على بعض، فمن قتله؟ قالوا: قتله قيس بن ربعي. قال له: أنت قتلته؟ قال: ما قتلته، ولعن الله من قتله. قال يزيد (لعنه الله): يا ويلكم، فمن قتله؟ قال قيس: أقول لك يا يزيد ولي الأمان؟ قال: قل، ولك الأمان. قال: والله ما قتل الحسين وأهل بيته إلا من عقد الرايات، وصبّ الأموال على الأنطاع، وسير الجيوش جيشاً بعد جيش. فقال يزيد (لعنه الله): ومن هو؟ فقال: أنت والله يا يزيد.

فغضب يزيد من قوله، ونهض ودخل داره، ووضع الرأس الشريف في طشت، وغطاه بمنديل ديبقي، ووضعته في حجرة له وهو يقول: ما لي وقتل الحسين؟

زين العابدين يطلب حوائجه الثلاث

قال أصحاب السير: ثم دعا يزيد (لعنه الله) بعلي بن الحسين عليه السلام وقال له: اذكر حاجاتك الثلاث التي أوعدتك بقضائها. فقال له علي بن الحسين: «الأولى أن تريني وجه سيدي ومولاي الحسين، والثانية أن ترد علينا ما أخذ منا، والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن رسول الله صلى الله عليه وآله».

فقال له يزيد: أما وجه أبيك فلن تراه أبداً. وأما ما أخذ منكم، فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته. وأما قتلك، فقد عفوت عنك، وهؤلاء النسوة فلا يردهن غيرك. فقال عليه السلام: «أما مالك فلا نريده، وهو موفر عليك، وإنما طلبت ما أخذ منا؛ لأن فيه مغزل جدتي فاطمة بنت محمد، ومقنعتها، وقلادتها، وقميصها». فأمر يزيد برد ذلك^(١).

ونقل عن شرح شافية أبي فراس أنه لما قال يزيد (لعنه الله) لزين العابدين: أما وجه أبيك فلن تراه أبداً، كان الرأس الشريف في طشت مغطى بمنديل ديبقي، فإذا بالمنديل قد انكشف، واضطرب الرأس الشريف وناداه: «السلام عليك يا ولدي، السلام عليك يا علي». فصاح علي بن الحسين: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. يا أبتاه، أيتمتني على صغر سني، وذهبت عني يا أبتاه، وفرق بيني وبينك، فها أنا راجع إلى حرم جدي رسول الله، ودعتك الله، واسترعيك وأقرأ عليك السلام». قال: فضج الناس بالبكاء والنحيب حتى ارتجت الأرض،

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٤٣ - ١٤٤ / ١.

فخشي يزيد (لعنه الله) الفتنة وانقلاب الناس عليه، فقام ودخل داره^(١).

مدفن الرأس الشريف

واختلف في مدفن الرأس الشريف (رأس الحسين عليه السلام)، فرُوي أن الرأس صلب بدمشق ثلاثة أيام، ومكث في خزانة بني أمية حتى ولي سليمان ابن عبد الملك، فطلبه فجيء به وهو عظم أبيض، فجعله في سفظ وطيبه، وجعل عليه ثوباً، ودفنه في مقابر المسلمين بعدما صلّى عليه. فلما ولي عمر ابن عبد العزيز بعث إلى المكان يطلب منه الرأس، فأخبر بخبره، فسأل عن الموضع الذي دُفن فيه فنبشه وأخذه، والله أعلم ما صنع به^(٢).

وفي الدمعة الساكبة عن منصور بن جمهور أنه دخل خزانة يزيد، فلما فتحها وجد فيها جونة حمراء، فقال لغلامه: احتفظ بهذه الجونة، فإنها كنزٌ من كنوز بني أمية. فلما فتحها، وجد فيها رأس الحسين وهو مخضوب بالسواد، فقال لغلامه: ايتني بثوب. فلقيه، ثم دفنه في دمشق عند باب الفراديس عند البرج الثالث مما يلي المشرق^(٣). وقيل: إنه نقله الخلفاء الفاطميون من باب الفراديس إلى عسقلان، ثم نقلوه إلى القاهرة. وله مشهد عظيم يُزار.

وفي كتاب اللواعج: حكى غير واحدٍ من المؤرخين أن الخليفة العلوي بمصر أرسل إلى عسقلان - وهي مدينة كانت بين مصر والشام، والآن خراب -

(١) شرح شافيه أبي فراس:

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١٤٥ / ١.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ١٤٤ / ١.

فاستخرج منها رأساً زعم أنه رأس الحسين، وجيء به إلى مصر، ودُفن فيها في المشهد المعروف الآن. وهو مشهد معظم، وإلى جانبه مشهد عظيم. قال السيد محسن صاحب الكتاب: رأيت سنة إحدى وعشرين بعد الثلاثمائة والألف، والمصريون يتوافدون إلى زيارته أفواجاً أفواجاً، رجالاً ونساءً، ويدعون ويتضرعون^(١).

وقيل - كما روي عن سبط ابن الجوزي عن عبد الله بن عمر الوراق - أن يزيد (لعنه الله) قال: لأبعثته إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان. وكانوا بالرقّة، فبعثه إليهم، فدفنوه في بعض دورهم، ثم أدخلت تلك الدار في المسجد الجامع. قال: وهو إلى جنب سدره هناك، وعليه شبه النيل، لا يذهب شتاء ولا صيفاً. وقال ابن الجوزي: وفي أي مكان كان رأسه أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر، قاطن في السرائر والخواطر^(٢).

وقال بعض المحبين شعراً: د

لا تطلبوا المولى الحسي - من بأرض شرق أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا - نحوي فمدفنه بقلبي^(٣)

قال المجلسي رحمته الله: هذه أقوال المخالفين، والمشهور بين علمائنا (رضوان الله عليهم) أنه دُفن رأسه الشريف مع جسده، وردّه علي بن الحسين عليه السلام. وقد

(١) لواعج الأشجان: ٢٥٠.

(٢) شرح إحقاق الحق ٣٣: ٧٠٤-٧٠٥.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ١٤٥ / ١.

وردت أخبار كثيرة في أنه مدفون عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).

قال المؤلف (سأحه الله تعالى): ولنذكر بعضاً منها:

فمنها: ما روي عن يزيد بن عمر بن طلحة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «ألا

تريد ما وعدتك؟». قال: قلت: بلى. يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: فركب، وركب إسماعيل، وركبت معها حتى جاء الثوية - وكانت بين

الحيرة والنجف عند ذكوات بيض - فنزل، ونزل إسماعيل، ونزلت معهم، فصلّى

وصلّى إسماعيل، وصليت. فقال لإسماعيل: قم فسلم على جدك الحسين بن علي.

فقلت: جعلت فداك، أليس الحسين في كربلاء؟ فقال: «نعم، لكن لما حمل رأس

الحسين إلى الشام، سرقه مولى لنا، فدفنه بجانب أمير المؤمنين» ^(٢).

ومنها: ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إذا أتيت الغري رأيت قبرين،

قبراً كبيراً وقبراً صغيراً، فأما الكبير فهو قبر أمير المؤمنين، وأما الصغير فرأس

الحسين بن علي بن أبي طالب» ^(٣).

ومنها: ما روي عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله بالحيرة... إلى

أن قال: فلما خرجنا من الحيرة قال: «تقدم يا يونس». وأقبل يقول عليه السلام: «تيامن،

تياسر». فلما انتهينا إلى الذكوات الحمر، قصد إلى موضع فيه ماء، فتوضأ، ثم دنا

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٤٥ / ١.

(٢) الكافي ٤: ٥٧١ / ١، الوافي ١٤: ١٤١٣ / ١٤٤٦١، وسائل الشيعة ١٤: ٤٠٠ / ١٩٤٥٦.

(٣) كامل الزيارات: ٨٤ / ٨٢، بحار الأنوار ٩٧: ٢٤١ / ٢٢.

رحيل الإمام زين العابدين وأهل بيته إلى المدينة.....٧٥

من أكمة فصلى عندها، ثم مال إليها فبكى، ثم مال إلى أكمة دونها ففعل مثل ذلك، ثم قال: «يا يونس، افعل مثل ما فعلت». فلما فرغت قال: «يا يونس، أتعرف هذا المكان؟». قلت: لا. فقال: «أما الموضع الأول الذي صليت فيه أولاً فقبر أمير المؤمنين، والأكمة الأخرى موضع رأس الحسين بن علي. إن الملعون عبيد الله بن زياد (لعنه الله) لما بعث برأس الحسين إلى الشام رُدَّ إلى الكوفة، فقال: أخرجوه عنها؛ لا يفتتن به أهلها، فصيرَه عند قبر أمير المؤمنين»^(١).

والذي عليه المعول من الأقوال والمعتمد أنه أُعيد إلى الجسد الشريف، ودُفن معه بعد أن طيف به في البلاد. وما عثرت على رواية تدلُّ على كيفية حملِه وردّه من الشام إلى كربلاء، وهل كان مع زينب في حجرها، أو كان مع زين العابدين حين رجعوا من الشام؟ وهل وُضع موضعه من الجسد، أو في الضريح مضموماً إليه؟ وعلى كل حال فاعتقادنا أن الحسين حيٌّ عند ربه يرزق، كما يشهد به قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢).

رحيل الإمام زين العابدين وأهل بيته إلى المدينة

وفي المنتخب: لما كان اليوم الثامن من الأيام التي ناحوا فيها على الحسين عليه السلام، دعاهم اللعين يزيد وعرض عليهم المقام، فأبينَّ وأردنَّ الرجوع، فأحضر لهم

(١) كامل الزيارات: ٨٧/٨٦. بحار الأنوار ٩٧: ٢٤٣.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

المحامل وزينها، وأمر بالأقطاع من الأبريسم، فصبّ عليها الأموال وقال: يا أم كلثوم، خذوا عَوْضَ ما أصابكم. فقالت أم كلثوم: «يا يزيد، ما أقلّ حياءك وأصلب وجهك، تقتل أخي وأهل بيتي، وتعطيني عوضهم مالا؟ والله لا كان ذلك أبداً»^(١).

قال أهل السير: وندب يزيد (لعنه الله) النعمان بن بشير، وأمره بالخروج معهم، فقال له: تجهّز مع هؤلاء النسوة، ثم دعا بالجمال فأبركوها ووطّؤها لهم، وأمره أن يسير بهم في الليل، ويكون أمامهم حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم ناحية، وتفرّق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس. فسار معهم ولم يزل ينازلهم ويرفق بهم حتى بلغوا العراق، فقالت النساء: «بحق الله عليك إلا ما عرّجت بنا على طريق كربلاء»^(٢).

على طريق كربلاء

ففعل ذلك، فحين وصلوا تلك الناحية، وكان قدومهم إلى كربلاء يوم العشرين من صفر، وجدوا هناك جابر بن عبد الله الأنصاري، وجماعة من بني هاشم قد وردوا لزيارة الحسين، فتلاقوا في وقت واحد. وقيل: لما لاحت لزینب بنت علي بيوت بني أسد، اختنقت بعبرتها وبكت، ولسان الحال عنها يقول:

يا نازلين بكربلاء هل عندكم خبر بقتلانا وما أعلامها

(١) المنتخب: ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٢) روضة الواعظين: ١٩٢، إعلام الوری بأعلام الهدى ١: ٤٧٥ - ٤٧٦.

ما حال جثة ميّت في أرضكم بقيت ثلاثاً لا يُزار مقامها
بالله هل رفعت جنازته وهل صلى صلاة الميتين إمامها^(١)

حديث جابر الأنصاري

وبالإسناد عن الأعمش بن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائراً قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من الفرات، فاغتسل ثم اتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرة من السعد فنثرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى، حتى دنا من القبر، وقال: ألمسني القبر. فألمسته إياه، فخرّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه الماء، فلما أفاق قال: يا حسين - ثلاثاً - ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه. ثم قال: وأنى لك والجواب سيدي، وقد فرق بين بدنك ورأسك، وشخبت أوداجك على أثباجك؟ فأشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكسا، وابن سيد النقا، وابن فاطمة الزهراء سيدة النساء. وما لك لا تكون هكذا وقد غذتك كفّ سيد المرسلين، وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام؟ فطبت حياً وطبت ميتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكّة في حياتك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم أجال ببصره حول القبر المقدس وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي

(١) وفيات الأئمة: ١٦٧.

حلت بفناء الحسين وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين. والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال: فقلت لجابر: فكيف، ولم نهبط وادياً، ولم نعلُ جبلاً، ولم نطعن برمح، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأيتمت أطفالهم، ورمّلت نساؤهم؟ فقال لي: يا بن عطية، سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ قوماً حُشر معهم، ومن أحبّ عمل قومٍ أشرك في عملهم». والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه.

قال: فبينما نحن كذلك وإذا بسواد قد طلع علينا من ناحية الشام، فقال جابر لعبده: انطلق إلى هذا السواد وائتنا بخبره؛ فإن كانوا من أصحاب ابن زياد فارجع إلينا؛ لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين، فأنت حرّ لوجه الله.

ملاقة آل الرسول مع جابر

قال: فمضى العبد، فما كان بأسرع من أن رجع، وقال: قم يا جابر، واستقبل حرم الله وحرم رسوله، هذا زين العابدين قد جاء مع عمّاته وأخواته. فقام جابر يمشي حافي الأقدام، مكشوف الرأس، حتى دنا من زين العابدين، فقال الإمام: «أنت جابر؟». فقال: نعم يا بن رسول الله. فقال: «يا جابر، هاهنا قُتلت رجالنا، وذُبحت أطفالنا، وسُبيت نساؤنا، وحُرقت خيامنا».

زينب والفواطم على قبر الحسين

وتلاقوا بالبكاء والنحيب، والنوح والحزن واللطم، وأقاموا العزاء، واجتمع نساء السواد إليهم، فخرجت زينب ابنة علي في الجمع، وأهوت إلى جيبها فشقتة، ونادت بصوت حزين يقرح القلوب: «وأخاه واحسيناه واحبيب رسول الله، وابن مكة ومنى، وابن فاطمة الزهراء، وابن علي المرتضى. آه، ثم آه». ووقعت مغشياً عليها. وخرجت أم كلثوم لاطمةً خدّها، تنادي برفيع صوتها: «اليوم مات محمد المصطفى، اليوم مات علي المرتضى، اليوم ماتت فاطمة الزهراء». وباقي النساء ناعيات لاطمات، نائحات قائلات: وامصيبناه، واحسيناه. فلما رأت سكينه ما حلّ بالنساء، رفعت صوتها تنادي: واحمداه واجداه، يعزّ عليك ما فعلوا بأهل بيتك؛ ما بين مسلوب وجريح، ومسحوب وطريح، ومنهوب وذبيح^(١).

فواحزني وواأسفي، أفلا تحترق قلوبنا لاحتراق قلوب بنات الرسول؟ أفلا تجري دموعنا لحال مخدّرات البتول، ونواسيهن بالنوح لهذا الفادح المهول؟ فلو تأملت حالتهنّ حين رجعن من الشام إلى كربلاء، وتساقطن على قبور الشهداء، لبكيت عوض الدمع دماً، وكأني بزینب وقد أنكبّت على قبر أخيها علي بن أبي طالب تلثم تربته، وقد بلّت تربته بدمعها. قال بعض المحبّين في هذا المعنى:

بأبي النساء الثاكلة ت غداة عدن لبقعتك

(١) بشارة المصطفى: ١٢٥ - ١٢٦ / ٧٢، بحار الأنوار ٦٥: ١٣٠ - ١٣١ / ٦٢، لواعج

عادت لتطفي من دمو	ع العين لاهب غلتك
وكأنني بحليفة الـ	أرزا تطوف بنيتك
تدعوك من قلب أضـ	رّ به الجوى من فجعتك
أحبيب مالك لا تجيـ	ب ندا أسير محبتك
أحسين هل لك رجعة	فيها تباشر شيعتك
أحسين هل لك رجعة	فالقلب ذاب بفرقتك
أحسين هل لك رجعة	فيها مسرة صبيتك
أحسين هل لك رجعة	فيها صيانة نسوتك
هيهات ترجع فرقوا	بين الكريم وجثتك

رحيلهم من كربلاء إلى المدينة

قال أهل السيرة: فأقاموا العزاء في كربلاء ثلاثة أيام بلياليها، ثم إن علي ابن الحسين أمر بشد رحاله، فصاحت سكينه بالنساء لتوديع قبر أبيها الحسين، فدرن حوله، فحضنت القبر الشريف، وبكت بكاءً شديداً، وحنّت وأنت، ولسان الحال عنها يقول:

ألا يا كربلا نودعك جسماً بلا كفن ولا غسل دفيناً
ألا يا كربلا نودعك روحاً لأحمد والوصي مع الأمينا

وقيل: لما أرادوا الرحيل، أحاطت النساء بقبر الحسين، فغرز علي بن الحسين أصابعه في القبر المقدس، ففاض القبر دماً عبيطاً، فبكى زين العابدين وقال لعمته زينب:

خذوا لكم من دم الأحباب تحفتكم وخاطبوا الجد هذي تحفة السفر

رشّوا على قبره ماء فصاحبه معطّش بلّوا أحشاه بالقطر^(١)
قال: ثم انفصلوا من كربلاء طالين المدينة.

بشر بن حدلم

قال بشر بن حدلم: فلما قربنا من المدينة، نزل علي بن الحسين عليه السلام فحطّ رحله،
وضرب فسطاطه، وأنزل الحرم والأيتام، وقال: «يا بشر، رحم الله أباك؛ لقد كان
شاعراً، فلعلك تقدر على شيء منه». فقلت: نعم سيدي، إني لشاعر. قال:
«فادخل المدينة وانعأ عبد الله ببيتين من الشعر». قال بشر: فركبت فرسي،
وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي محمد صلى الله عليه وآله، رفعت
صوتي بالبكاء، وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فمدمني مدار
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

ثم قلت: هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلّوا بساحتكم، ونزلوا
بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم بمكانه. قال: فما بقيت مخدّرة ولا محجوبة
إلا برزن من خدورهن، خامشات وجوههن، ضاربات صدورهن. فلم أرَ باكياً
ولا باكياً أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمّر على المسلمين منه. قال بشر بن حدلم:
فضربت فرسي، وإذا بطرق المدينة مسدودة من كثرة النساء والرجال، وهم
يكون ويلطمون، وسمعت جارية تنوح وهي تقول:

أعينيّ جوداً بالدموع وأسكبا وجوداً بدمّ بعد دمعكما معا

على ابن نبي الله وابن وصيه وإن كان عنا شاحط الدار اشسعا
ثم قالت: أيها الناعي، لقد جدّدت حزننا بأبي عبد الله، وخذشت منا جروحاً
لما تندمل، فمن أنت يرحمك الله؟ فقلت: أنا بشر بن حذلم، وجّهني سيدي
ومولاي زين العابدين، وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله
الحسين ونسائه.

قال: فتركوني وبادروا، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم، فوجدت الناس
قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي، وتخطّيت رقاب الناس، حتى
قربت من الفسطاط، وكان علي بن الحسين داخلاً، فخرج ومعه منديل يمسح به
دموعه، وخلفه خادم ومعه كرسي، فوضعه له، وجلس عليه وهو لا يتمالك من
العبرة، فارتفعت أصوات الناس بالبكاء والنحيب، وحين النساء والجواري
والناس من كل ناحية يعزونه، فضجّت تلك البقعة ضجّةً واحدةً شديدة^(١).

خطبة الإمام زين العابدين قرب المدينة

فأوماً بيده إلى الناس أن اسكتوا، فسكتوا فقال: «الحمد لله رب العالمين،
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بعد فارتفع في
السموات العلا، وقرب فشهد النجوى. نحمده على عظام الأمور، وفجائع
الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجيل الرزء، وعظيم المصائب
القاطعة الكادحة، الفادحة الجائحة.

أيها الناس، إن الله - وله الحمد - ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام

(١) وفيات الأئمة: ١٦٨ - ١٦٩.

عظيمة، قُتل أبو عبد الله وعترته، وسُبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، وهذه الرزية لا مثلها رزية، فأى رجل منكم يسرُّ بعد قتله، أم أية عين تحبس دمعها وتضنّ عن انبهاها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأواجها، والسموات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقربون، وأهل السموات أجمعون.

أيها الناس، أي قلب لا يتصدع لقتله؟ أم أي فؤاد لا يحنّ لأجله؟ أم أي سمع يسمع هذه الثلثة التي ثلمت في الإسلام فلا ينصدع؟

أيها الناس، إنا أصبحنا مطرودين مشرّدين، شاسعين عن الأمصار، كأننا أولاد ترك أو كابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلثة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق. والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأفجعها وأوجعها، وأكظّها وأفظعها، وأمّرها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وما أبلغ بنا، إنه عزيز ذو انتقام»^(١).

محمد بن الحنفية

قيل: ولم يكن لمحمد بن الحنفية علم بذلك الخبر الشنيع، فسمع صوتاً عالياً وضجة عظيمة، فقال: «والله ما أرى مثل هذه الزلزلة العظيمة إلا يوم مات فيه

(١) مثير الأحزان: ٩١-٩٢، اللهوف في قتلى الطفوف: ١١٧، ينابيع المودة ٣: ٩٣.

رسول الله ﷺ، فما هذه الصيحة؟». فلم يقدر أحد أن يخبره بسوء؛ لخوفهم عليه من الموت من شدة مرضه، فألح عليهم بالسؤال، فتقدم إليه رجل من غلماناه وقال: جعلت فداك يا بن أمير المؤمنين، إن أخاك الحسين قد أتى أهل الكوفة، وغدروا به، وقتلوا ابن عمه مسلم بن عقيل، فرجع عنهم، وأتى بأهله وأصحابه سالمين. فقال محمد بن الحنفية: «لم لا يدخل عليّ أخي وابن والدي؟». قالوا له: إنه ينتظر قدومك عليه.

فنهض فوق؛ فتارة يقوم، وتارة يسقط، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». فحسّ قلبه بالشر فقال: «إن فيها لمصائب آل يعقوب». ثم قال: «أين أخي؟ أين ثمرة فؤادي الحسين؟». ولم يعلم بقتله، فقالوا: يا مولانا أخوك بالموضع الفلاني. ثم أركبوه جواده، ومشى غلامه أمامه، ثم خرج من المدينة، فلم يرَ إلا أعلاماً سوداً، فقال: «ما هذه الأعلام؟ قتل والله الحسين بنو أمية». فصاح صيحة عظيمة، وخرّ عن ظهر جواده إلى الأرض مغشياً عليه، فركض الخادم إلى زين العابدين عليه السلام، وقال له: يا مولاي، أدرك عمك قبل أن تفارق روحه الدنيا.

فخرج الإمام ويده منديل يمسح به دموعه، إلى أن أتى إلى عمه، فأخذ برأسه ووضعها في حجره، فلما أفاق من غشوته قال: «يا بن أخي، أين قرّة عيني؟ أين نور بصري؟ أين أبوك يا بن خليفة أبي؟ أين أخي الحسين؟». فقال علي بن الحسين: «يا عماه، أتيتك يتيماً ليس معي إلا نساء حاسرات في الذبول، عائرات باكيات نادبات، وللمحامي والكفيل فاقدات. يا عماه، لو تنظر إلى أخيك وهو يستغيث فلا يغاث، ويستجير فلا يجار، مات وهو عطشان، والماء يشربه كل حيوان».

فصرخ محمد بن الحنفية حتى غشي عليه، فلما أفاق من غشوته قال: «يا بن

أخي، قصّ عليّ ما أصابكم». فجعل يقصّ عليه القصة والإمام عيناه كأنهما
ميزاب، فلم يزل يخبره حتى لم يبق له قوّة أبداً.

في المدينة

قال: فأتت نساء أهل المدينة، فتلتهن نساء الحسين عليه السلام بلطم يكاد الصخر
ينصدع له، حتى دخلوا المدينة، فلما دخل الإمام إلى دار الرسول، وجدها مقفرة
خالية من سكانها، موحشة العرصات؛ لفقد الأئمة الهداة، فجعل يبكي، ولسان
حال أم كلثوم يقول:

مدينة جدنا لا تقبلينا	فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعاً	رجعنا لا رجال ولا بنينا
وكنا في الخروج بجمع شمل	رجعنا حاسرات مسلبينا
وكنّا في أمان الله جهراً	رجعنا بالقطيعة خائبينا
ومولانا الحسين لنا أنيس	رجعنا والحسين به رهينا
فنحن الضائعات بلا كفيل	ونحن النائحات على أخيننا
ونحن السائرات على المطايا	نشال على جمال المبغضينا
ألا يا جدنا قتلوا حسيناً	ولم يرعوا جناب الله فينا
لقد هتكوا النساء وحملوها	على الأقتاب جهراً أجمعينا
وزينب أخرجوها من خباها	وفاطم والة تبدي الأئينا
سكينة تشتكي من حرّ وجدٍ	تنادي الغوث ربّ العالمينا
وزين العابدين بذلّ قيد	وفي أغلالهم أضحى رهينا ^(١)

قال الراوي: وأما زينب، فإنها أخذت بعضادتي باب المسجد ونادت: «يا جداه، إني ناعية إليك أخي الحسين عليه السلام». وهي مع ذلك لا تحفّ لها عبرة، ولا تفتر من البكاء والنحيب. وأقبلت أم كلثوم إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله باكية حزينة القلب فقالت: «السلام عليك يا جداه يا رسول الله، إني ناعية إليك ولدك الحسين».

قال: فحنّ القبر حنيناً عالياً، وضجّ الناس بالبكاء والنحيب. وأقبل علي ابن الحسين إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله، ومرّغ خدّه على القبر وبكى، فسمعت أم لقمان^(١) صراخ زينب وأم كلثوم، وعاتكة وصفية، ورقية وسكينة، فخرجت حاسرة الرأس، ومعها أترابها وأم هاني ورملة وأسماء بنات أبي طالب صارخات يبكين ويندبن على الحسين. قال: فخرجت أم سلمة من الحجرة الطاهرة، قابضة بإحدى يديها القارورة وقد صارت تفور دماً عبيطاً، وقد أخذت باليد الأخرى فاطمة العليّة بنت الحسين، فلما رأى أهل البيت أم المؤمنين، والتربة في يديها المنقلبة بالدم، تضاعف بكاءؤهم، فتعانقن مع أم سلمة، وسألن عن حال فاطمة، فأمرتهن أم سلمة بالصبر^(٢).

قال أبو مخنف: فأقام الرجال والنساء العزاء يندبون على الحسين بالمدينة خمسة عشر يوماً، وأما علي بن الحسين عليه السلام فإنه لم يفتر عن البكاء والنوح بقيّة عمره، كما ورد عن الصادق عليه السلام أنه بكى علي بن الحسين على أبيه الحسين عشرين سنة، وقيل: أربعين سنة، ما وُضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: إني

(١) بنت عقيل بن أبي طالب.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١٩٨ / ٣٧، باختلاف.

أخاف عليك أن تكون من الهالكين. فقال: «إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة»^(١).
قال المؤلف (سأحه الله): وهذا آخر ما أردنا إتيانه في هذا الكتاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.
والحمد لله رب العالمين

(١) الأملالي (الصدوق): ٢٠٤ / ٢٢١، وسائل الشيعة ٣: ٢٨٠ / ٣٦٥٥.

ملحق : فائدة في مدفن الرأس الشريف

وهو تحقيق آخر غير ما سبق من المؤلف رحمته الله ، مأخوذ بلفظه من مقولة العلامة المقدس الشيخ هادي كاشف الغطاء ألحقناه بالكتاب؛ نظراً لمزيد الفائدة. قال رحمته الله : وفي الموضوع الذي دفن فيه أقوال:

أشهرها بين الإمامية: أنه أُعيد إما من الشام أو من المدينة، ودُفن مع جسده الشريف في كربلاء. ونقل السيد عمل الطائفة على هذا. وذهب بعض علمائنا إلى أنه دفن بجنب أمير المؤمنين عليه السلام ؛ استناداً إلى بعض الروايات التي منها ما روي عن الصادق عليه السلام من أنه قال لولده إسماعيل: «أنه لما حمل إلى الشام، سرقه مولياً لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام»^(١).

ومنها ما رواه في فرحة الغري بسنده إلى أبي الفرج السندي قال: كنت مع أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام حين قدم إلى الحيرة، فقال ليلة: «أسرجوا لي البغلة». فركب وأنا معه، حتى انتهينا إلى الظهر، فنزل وصلى ركعتين، ثم تنحى فصلى ركعتين، ثم تنحى فصلى ركعتين، فقلت: جعلت فداك، إني رأيتك صليت في

(١) لواعج الأشجان: ٢٤٧.

ثلاثة مواضع؟ فقال: «أما الأول فموضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والثاني موضع رأس الحسين عليه السلام، والثالث منبر القائم عليه السلام»^(١). وغير ذلك من الروايات التي تقارب ما ذكر.

قال في البحار: «واعلم أنه يظهر من الأخبار المتقدمة أن رأس الحسين عليه السلام وجسد آدم ونوح وهود وصالح مدفونون عنده عليه السلام، فينبغي زيارتهم جميعاً بعد زيارته»^(٢) انتهى.

ويظهر مما روي - من أن الصادق عليه السلام زار رأس الحسين عليه السلام عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام، ومن غيره من الأخبار - تعيين موضعه في الجملة. ومما يؤيد كونه عند قبر أبيه (صلوات الله عليهما)، استحباب زيارته في مشهده، ولم يرد استحباب زيارة إمام في مشهد إمام آخر غيرها؛ وليس ذلك ظاهراً إلا لدفن الرأس الشريف فيه، كاستحباب زيارة آدم ونوح فيه دون غيرهم من الأنبياء. ويقال: إن جماعة من العلماء والأتقياء - شاهدنا بعضهم - كانوا لا يَمرون في الصحن الشريف الغروي من جانب الرأس المقدس، وإذا مروا خلعوا أحذيتهم احتياطاً في طلب الاحترام والتعظيم، وهو أمر حسن لا ينبغي إهماله. وأما موضع منبر القائم أو منزله، فيظهر من الأخبار أنه قريب من قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما أنه هو المقام المعروف الآن بمقام المهدي الذي في وادي السلام، فلم

(١) الكافي ٤: ٥٧١، باب موضع رأس الحسين عليه السلام، ح ٢. تهذيب الأحكام ٦: ٣٤، ب ١٠،

ح ٧١. وسائل الشيعة ١٤: ٣٩٨، أبواب المزار وما يناسبه، ب ٣٢، ح ١٩٤٥٤.

(٢) بحار الأنوار ٩٧: ٢٥١ / ٤٦.

ملحق: فائدة في مدفن الرأس الشريف ٩١

نتحققه. ويقال: إن هذا المقام موجود من قديم الزمان، وإن بعض العلماء في القرن الحادي عشر تعرّض لذكره في بعض مصنفاته، وقد نقلت عنه بعض الكرامات والله العالم.

والحاصل أن أقول: العامة والخاصة مختلفة في تعيين موضع الرأس الشريف، وقد ذكرنا القول الأول وهو المشهور بين الإمامية على ما يقال، والثاني وهو ظاهر أكثر الأخبار. وبقيت أقوال أخيرة أنه في الموضع المعروف بالحنانة، ذهب إليه بعض علمائنا استناداً لما روي في أمالي الشيخ عليه السلام من أن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لما جاز بالقائم المائل في طريق الغري نزل فصلى عنده ركعتين، وقال: «هذا موضع رأس جدي الحسين»^(١).

وروي أيضاً أنه زار الحسين عليه السلام فيه.

وعن كتاب المزار لمحمد بن المشهدي أنه قال: «فيه زيارة أخرى له عليه السلام يُزار بها في كل يوم، وفي كل شهر، ويزار بها عند قائم الغري، فقد جاء في الأثر أن رأس الحسين هناك»^(٢) انتهى.

ولا يبعد أن يكون المراد من قوله عليه السلام: «هذا موضع رأس جدي الحسين»: هو المكان الذي وضع فيه، فإنهم لما حملوا الرؤوس الطاهرة إلى الكوفة، وضعوا الرأس الشريف في هذا المحل، ويقال: إنه أول منزله. كما لا يبعد حمل بعض الأخبار الواردة في هذا الشأن على هذا المعنى. ويظهر من بعض أكابر الفقهاء أن

(١) الأمالي (الطوسي): ٦٨٢ / ١٤٥٠، وسائل الشيعة ١٤: ٤٠١ / ١٩٤٥٩، بحار الأنوار

٩٧: ٤٥٤ / ٢٨.

(٢) المزار: ٥١٧ / ١١.

الموضع المذكور موضع دفن بعض أجزائه الشريفة. وقد عبّر عن ذلك بما لا يستحسن التعبير به عنه.

ومنها أنه دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام.

ومنها أنه دفن بالشام في باب الفراديس.

ومنها أنه دفن في مصر. نقله إليها من عسقلان لما استولى عليها الأفرنج بعض الصالحين من وزراء الخلفاء الفاطميين، وهو طلائع بن رزيق، وبذل في سبيل ذلك أموالاً طائلة، واحتفل باستقبال الرأس أعظم احتفال يكون في عصره. وقيل في موضع دفنه غير ذلك. وهذه الأقوال الأخيرة لم يذهب إليها أحد من علمائنا فيما نعلم^(١).

وفي الختام أقول: إن خفاء موضعه، وتردده بين مواضع متعددة - كخفاء قبر أمه الصديقة الطاهرة الكبرى - دليل الفضل وعظيم المنزلة، كما في ليلة القدر التي هي خير الليالي، وساعة الإجابة التي هي خير الساعات، والصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات؛ فينبغي زيارته عليه السلام في جميع المواضع المحتملة لذلك؛ طلباً للأجر والثواب، ولتأكيد زيارته عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام. نسأل الله التوفيق لذلك بمحمد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

الخاتمة : في نبذة من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

في بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وحديث الكساء كما في منتخب الطريحي رحمته الله: «يا إخواني في الدين، لو أحاط الناس بفضل أولاد أمير المؤمنين لذهلت عقولهم وغدوا والهين. كيف، وقد جمعت فيهم فضائل الأنبياء المتقدمين، خصوصاً أبيهم علي أمير المؤمنين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: «يا علي، لولا خوفي أن تقول الناس فيك كما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك مقالاً لا تمر بأحد إلا أخذ التراب من تحت قدميك؟» ولهذا أطلق عليهم لفظ الأشباح؛ لأن الشبح هو الذي ترى صورته ولا تعرف حقيقته. أو لا ترون يا أهل البصائر إلى رجل أخفى أعداؤه فضائله حسداً، وستر أولياؤه مناقبه خوفاً على أنفسهم، ثم ظهر من بين هذين الإخفاءين مناقب ملأت الخافقين؟ ولقد أجاد ابن السرايا حيث يقول:

جمعت في صفاتك الأضداد	فلهذا عزت لك الأنداد
زاهد حاكم حلیم شجاع	ناسك فاتك فقير جواد
شيم ما جمعن في بشرق	طُّ ولا حاز مثلهن العباد
نزلت في صفات فضلك يـ	س وطه وآل ياس وصاد

إن يكذب بها عداك فقد كذ
 لو رأى مثلك النبي لآخا
 كنت نفساً له وعرسك وابنا
 جل معنك أن يحيط به الشع
 خلق يشبه النسيم من اللط
 فلهذا تعمقت فيك أقوا
 ظهرت منك للورى معجزات
 أنت سر النبي والصنو وابن ال
 فبكم باهل النبي ولم يل
 إنما الله عنكم أذهب الرج
 ذاك مدح الإله فيكم فإن فه
 ب من قبل قوم لوط وعاد
 ه وإلا فأخطأ الانتقاد
 ك لديه النساء والأولاد
 ر ويحصي صفاته العداد
 ف وبأس يذوب منه الجماد
 م بأقوالهم فزانوا وزادوا
 فأقرت بفضلك الحساد
 عم والصهر والأخ المستجاد
 ق لكم خامساً سواه يزداد
 س فردت بغيضها الحساد
 ت بمدح فذاك قول يعاد

روي من طرقهم عن أحمد بن سعيد الثقفي قال: كنا يوماً وقوفاً على باب أبي
 نعيم الفضل بن دكين، ونحن جماعة فينا أحمد بن حنبل وغيره من نقلة الحديث،
 نتوقع خروجه لنسمع منه، فأطلع علينا رأسه من خوخة على باب داره، فقال:
 إن لي وعكةً وعلةً صداعٍ، فاعذروا وانصرفوا مأجورين. فقام إليه رجل فقال:
 مسألة. فقال: هاتها وأوجز. فقال: ما تقول في رجل شهد أن لا إله إلا الله، وأقر
 أن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام شهر رمضان، وحج
 البيت مع الإمكان، وجاهد عند دعاء الحاجة إلى الجهاد، وأمر بالمعروف، ونهى
 عن المنكر، واجتهد بعد ذلك في أفعال الخير، ثم مات وهو لا يعرف فلاناً قال:
 مات مؤمناً، ولا بأس عليه فيما جهل. قال: فإن فعل مثل ذلك، ومات وهو لا
 يعرف فلاناً. فأجاب مثل الجواب الأول. قال: فإن فعل مثل ذلك مما تقدم
 ومات وهو لا يعرف علي ابن أبي طالب. قال: لا يسعه ذلك؛ لأن الصلاة لا

تفتقر إلى ذكر غير علي كما تفتقر إلى ذكره، وقد كان من محمد بمكان لا كغيره^(١).
ومن طريقهم أيضاً عن سعد بن أبي وقاص قال: «أمر معاوية سعداً بالسب،
فأبى فقال: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: ثلاث قالهن رسول الله ﷺ،
فلن أسبه؛ لأن يكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم؛ سمعته يقول
لعليّ عليّ^(٢) وقد ذكره في بعض مغازيه فقال له علي: «خلفتني مع النساء
والصبيان». فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من
موسى إلا إنه لا نبي بعدي؟». وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً
رجلاً يحبّه الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله». قال: فتناولنا إليها. فقال: «ادعوا
عليّاً^(٣)». فأتاه وبه رمد، فمسح من ريقه على عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله
عليه. ولما نزلت ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(٤)... الآية دعا رسول
الله ﷺ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين، وقال: «اللهم هؤلاء أهلي»^(٥).

حديث الكساء

«وروي عن فاطمة الزهراء^(٦) قالت: «دخل عليّ أبي رسول الله ﷺ في
بعض الأيام فقال لي: يا فاطمة، إني لأجد في بدني ضعفاً». فقالت له فاطمة:
«أعيزك بالله يا أبت من الضعف. فقال: يا فاطمة ائتيني بالكساء الياني وغطيني

(١) انظر المنتخب: ٢٥٢.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٢٠، الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ٥: ٣٠١ - ٣٠٢ / ٣٨٠٨،

المستدرک علی الصحیحین ٢: ١٠٨ - ١٠٩.

به». قالت فاطمة: «فغطيته به، وصرت أنظر إليه، وإذا وجهه يتلألاً كأنه البدر في ليلة تمامه وكماله». قالت فاطمة: «فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسن عليه السلام قد أقبل وقال: السلام عليك يا أمّاه. فقلت: وعليك السلام يا ولدي، وقرّة عيني، وثمرّة فؤادي. فقال: يا أمّاه إني أشمّ عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله. فقلت: إن جدّك نائم تحت الكساء. فأقبل الحسن نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جدّاه، السلام عليك يا رسول الله، أتأذن لي أن أدخل معك تحت الكساء؟ قال: نعم. فدخل معه تحت الكساء».

قالت فاطمة: «فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسين الشهيد قد أقبل وقال: السلام عليك يا أمّاه. فقلت: وعليك السلام يا ثمرّة فؤادي وقرّة عيني. فقال: إني أشمّ عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله. فقلت: نعم، إن جدّك وأخاك تحت الكساء. فدنا الحسين وقال: السلام عليك يا جدّاه، السلام عليك يا من اختاره الله، أتأذن لي أن أكون معك تحت الكساء. فقال له: قد أذنت لك يا حسين. فدخل معه».

قالت فاطمة: «فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله. فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن. فقال: كأني أشمّ عندك رائحة أخي وابن عمي رسول الله. فقلت: نعم، ها هو مع ولدك تحت الكساء. فأقبل نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله، أتأذن لي أن أكون معكم تحت هذا الكساء؟ قال: نعم قد أذنت لك. ودخل علي عليه السلام معهم تحت الكساء».

ثم أقبلت فاطمة عليها السلام نحو الكساء وقالت: «السلام عليك يا أباه، السلام عليك يا رسول الله، أتأذن لي أن أكون معك تحت هذا الكساء؟». قال: «نعم».

فدخلت فاطمة تحت الكساء، فلما اكتملوا جميعاً تحت الكساء قال الله عز وجل: «يا ملائكتي وسكان سماواتي، إني ما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلماً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلماً يسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء. فقال الأمين جبرئيل: يا رب ومن تحت الكساء؟ فقال: أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وهم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها. فقال جبرئيل: يا رب أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً. فقال عز وجل: قد أذنتُ لك. فهبط الأمين جبرئيل وقال: السلام عليك يا رسول الله، العلي الأعلى يقرئك السلام، ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك: وعزتي وجلالي ما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلماً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلماً يسري إلا لأجلكم ومحبتكم، وقد أذن لي أن أدخل معكم تحت هذا الكساء، فهل تأذن لي أنت يا رسول الله؟ فقال: قد أذنت لك.

فدخل جبرئيل معهم تحت الكساء وقال لهم: إن الله عز وجل قد أوحى إليكم يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١). فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: يا رسول الله أخبرنا ما جلدوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله تعالى. فقال النبي صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجياً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض، وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلا ونزلت عليهم الرحمة، وحفت بهم الملائكة، واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا. فقال علي عليه السلام: إذن والله فزنا وفازت شيعتنا

ورب الكعبة. فقال رسول الله ﷺ: والذي بعثني بالحق نبياً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا، وفيهم مهموم إلا وفرج الله هممه، ولا مغموم إلا وكشف الله غممه، ولا طالب حاجة إلا قضى الله حاجته. فقال علي عليه السلام: إذن والله فرنا وسعدنا، وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة»^(١).

ولله در من قال من الرجال في علي عليه السلام حين طاف حول قبره الشريف، يقول:

هو الشمس أم نور الضريح يلوح	هو المسك أم طيب الوصي يفوح
وبحر الندى أم روضة حوت الهدى	وهارون أم موسى العصا ومسح
وأحمد هذا المصطفى أم وصيه	علي نماء هاشم وذبيح
حبيب حبيب الله بل سر سره	وعين الوري بل للخلائق روح
له النص في يوم الغدير ومدحه	من الله في الذكر المبين صريح
إمام إذا ما المرء جاء بحبه	فميزانه يوم المعاد رجح
له شيعة مثل النجوم زواهر	إذا جاولت يلقى العدو طريح
عليك سلام الله يا راية الهدى	سلام سليم يفتدي ويروح» ^(٢)

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

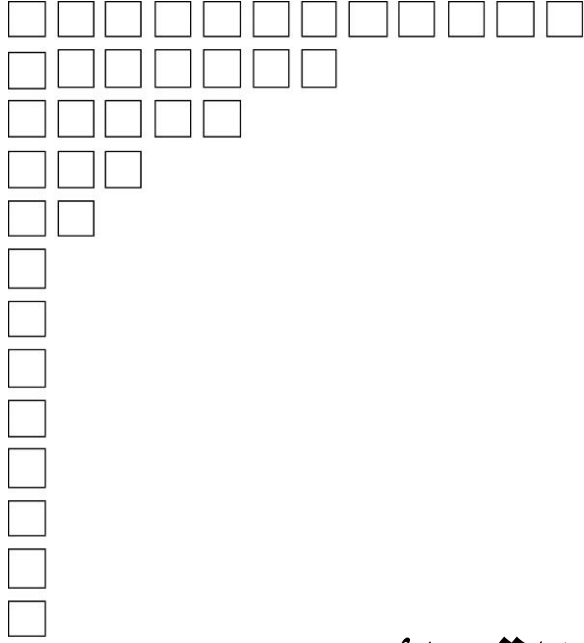
وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

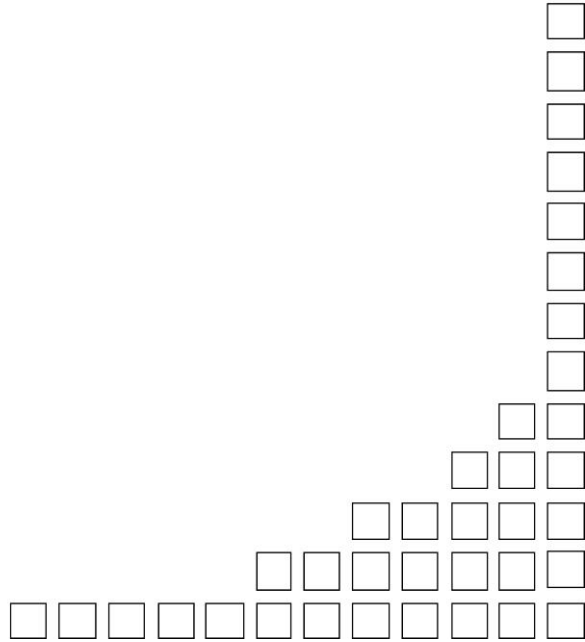
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

(١) المنتخب: ٢٥٣-٢٥٥.

(٢) انظر المنتخب: ٢٥٥.



القصاصد



يا راكباً هيماء

وكان إذا دخل على الإمام الصادق عليه السلام أحد من الشعراء أمره أن يرثي له جده عليه السلام.

ففي المعالي^(١) وغيره^(٢): عن أبي هارون المكفوف، أنه قال: دخلت على مولاي الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقال: «أنشدني في جدي الحسين عليه السلام شعراً»، قال: فأنشدته أبيات السيد الحميري رحمته الله:

يا راكباً هيماء مرقالاً	جسوراً شـدقميه°
بالله إن شمت العراق	وجئت أرض الغاضريه°
أمرر على جدث الحسين	وقل لأعظمه الزكيه°
يا أعظماً لا زلت من	وظفء ساكبة رويه°
مالذ عيشٌ بعد رضك	بالخيول الأعوجيه°

(١)

(٢)

قم جدد الحزن

قم جدد الحزن في العشرين من صفر
يا زائري بقعة أطفالهم ذبحت
وا لهفتا لبنات الظهر يوم رنت
رمين بالنفس من فوق النياق على
قتلك تدعو حسيناً وهي لاطمة
وتلك تصرخ وا جداه وا أبتا
فلو تروا أم كلثوم مناشدة
يا دافني الرأس عند الجثة احتفظوا
لا تدفنوا الرأس إلا عند مرقده
لا تغسلوا الدم من أطراف لحيته
لا تخرجوا أسهماً في جسمه نشبت
رشوا على قبره ماءً فصاحبه
لا تدفنوا الطفل إلا عند والده
لا تدفنوا عنهم العباس مبتعداً
يا راجعين السبايا قاصدين إلى
خذوا لكم من الأحباب تحفتكم

ففيه ردت رؤوس الآل للحفر
فيها خذوا تربها كحلاً إلى البصر
إلى مصارع قتلاهن والحفر
تلك القبور بصوت هائل ذعر
منها الخدود ودمع العين كالمطر
وتلك تصرخ وا يتماه في الصغر
ولهى وتلثم ترب الطف كالعطر
بالله لا تثرروا ترباً على قمر
فإنها روضة الفردوس والزهر
خلوا عليها خضاب الشيب والكبر
خوفاً يفور دماً يطمى على البشر
معطش بللوا أحشاه بالقطر
فإنه لا يطيق اليتيم في الصغر
فالرأس عن جسمه حتى اليدين بري
أرض المدينة ذاك المرتع الخضر
وخاطبوا الجد هذا تحفة السفر

سر حثيثاً يا راكباً

سر حثيثاً يا راكباً شذميته
فإذا نار طورها لمعت فاخلع
فاغتسل في الفرات والبس قميص الـ
وامش هوناً وقصر المشي فالخطـ

زر حسيناً في كربلاء العليه
فثم الحظيرة القدسـيه
حزن وانثر دموعك الدمويه
سوة كانت بحجة نبويه

ثم زره الزيارة الوارثيه
 مستجاب في القبة الحائريه
 لثراه والتربة المسكيه
 جابر حين زار وابن عطيه
 دي ويا مهجة البتول الزكيه
 بعد رض العظام بالأعوجيه
 بعد رفع الكريم في السمهره
 صنعت بالكريم آل أميه
 ر أدمت للبهجة النوريه
 حملها حسرى بكور المطيه
 وعلى الرجس أدخلها هديه
 الشام الله يا لها من رزيه
 الشام فيها لقين كل أذيه
 يا بنفسي وسميت خارجيه
 أهلها كل بكرة وعشيه
 م عقيب الجفا من الأمويه
 الله عرج بنا على الغاضريه
 كامن الوجد والشجون الخفيه
 فارقتها على الثرى مرميه
 وذه ابني وذي بدوري المضيه
 وجددن للبكا والرزيه
 بزین العباد باقي البقيه
 خذ للأصل تحفة وهديه
 زينب يا سكينه يا رقيه

وإذا جننت الضريح فسلم
 ثم سل وادع فالدعاء سريعاً
 ثم من قبره الشريف ادن والثم
 ثم صح باكباً كما صاح قدماً
 قل حبيبي حسين يا بهجة الها
 أنا أدعوك لا تجيب وأناى
 أنا أدعوك يا حسين وأناى
 ليت عين النبي تنظر ماذا
 رفعتة على السنان وبالأحجا
 ليت عين النبي ترنو نساءً
 وإلى الشام كالديالم سيق
 أين تلك المخدرات وأين
 لا تسلني ماذا لقين بأرض
 من سباب شماتة واحتقار
 لم تزل هكذا تنوح وتبكي
 وغداة انفصلن من بلدة الشا
 قلن يا حادي الظعون بحق
 ثم لما دنت من الطف أبدت
 وتساقطن فوق أقبر صحب
 ذي تنادي أخي وهذي ابن عمي
 وأقمن العزا ثلاثة أيام
 ثم لما رمن الترحل نادين
 إن من عادة المسافر أن يأ
 قال هلممن يا بنات علي

فغدا بغيرز الأنامل في القبر
فدعاهم خذوا لكم من دم الأ
ثم ودعن للحسين وللأهل
والى طيبة قصدن فلما
قلن والدمع يسبق النطق أين
أين من شيدوا بناك ومن كنت
أين من بالتهجد الليل أحيوا
هل لهم أوبة إليك فارجوا
هل لهم أوبة فيرتحل الحزن
ففاضت نداوة دمويه
حباب للأهل تحفة سفره
اللى قد حوتهم الغاضريه
جننها شمن دورهن خليه
السبق أين الأماجد الهاشميه
بهم مقصداً لنيل العطيه
وهم كانت الليالي مضيه
تنجلي كل غمة ورزيه
ونحى بهم حياة هنيه^(١)

١- يوم الأربعاء للعلامة الشيخ منصور المرهون:

زينب من الشام اليوم جت كربلا
والراس عند السجاد في محمله
صاحت يا حادي مروا بالغازريه
احسيناً فارگناه جسمه رميه
وعباس اخويه مذبوح واهل الحميه
ما أدري اندفنوا لولا أبحر الفلا
ولاحت ايوت النزال في كربلا
گالت ابسأل يا ناس عن مسأله

(١) الشيخ فرج العمران القطيفي رحمته الله.

لحسين اخويه مذبوح من غسله
واجنازته اندفنت لولا امعطله
جابوه عاري ولرمال فوگه سفن
ابليا غسل وابلا اكفان جسمه اندفن
في باريه لفيناه ابدال الكفن
امگطعه كل اعضاه وامفصله
گالت دگوموا يا ناس راووني گبره
گام العليل السجاد لله صبره
وكل الحرم والأيتام صارن ابحسره
وصارت صوايح وانياح في كربلا
گالت ياخويه جيناك وانت الولي
كلنا حریم اوأيتام وابنك علي
والراس جبته وياي في محملي
وجسمك الغالي يا حسين من غسله

٢- زينب على قبر الحسين عليه السلام للملا عبد العظيم المرهون:

انكبت الحورا على گبر الشهيد اتودعه
تصيح جيتك ياعزيزي والكلامي دسمعه
امن الغبر دقعد يخويه احسين وتلگی الضيوف
اوشوف زينب واليتامي راجعين ارض الطفوف

١٠٦.....يوم الأربعاء

معهم الوجعان يبكي اودمعه ابخده ذروف
فوق ناگه امگيدينه يذوب گلبي امن اسمعه
يوم عنكم سيرونا والعدا مروا عليك
عاينت جثتك رميه اوشفت مگطوعه يديك
العذر لله يالأخو لا تگول ما مروا عليك
اشلون زينب مشت عني فوگ ناگه امروعه
وانتبه لي يلمدلل ياعزيزي اومهجتي
ارد اخبرنك يخويه وشجری في سفرتي
بالمجالس ادخلوني والحبلى حز رگبتي
ظل يزيد الرجس يتهكم اوگلبي صدعه
أرد انشدك ياگمرنا من مشى ظعن الحرم
ماحد اتعنى امن اهلنا اهل المعالي والشيم
اوجهز الجسمك اوشال اللي انكسر واللي انهشم
والكفن لك فصله والنعش ويلي شيعه

٣- العائلة يوم الأربعاء للملا عبد العظيم المرهون:

ييو فاضل گوم واتلگى الوديعة ياشهيد
جتك امن الشام حسرى اويدها راس الشهيد
واخبرك يابو الفضل دخلت على الطاغي يزيد
ابوسطة المجلس حايره يا بوالفضل بين الرجاس

اوكان ما عندك خبر عن الوديعه سافرت
انخبرك لنها ابسفرها بليتام اتممرت
واعظم امصيه عليها ابكل بلاد اتشهرت
اتصبح ياويلي اوتنادي وين راحوا هل الباس
بسك امن النوم دگعد جيتك الأرض الطقوف
تبكي واتنادي ادركنا يبواضل يعطوف
انكان عذرك ياعزيزي اتگول ما عندي اكفوف
لوبعد يمكن اليه اتگول صرت ابغير راس
گوم يابو الفضل ماأسمع ولا أگبل عذر
تدري لن اختك عزيزه امحجبه ربه خدر
اوتالي بين الناس تمشي او حادي الناگه زجر
شوفها فوگ الجمل بين العدا امنكسه الراس
گوم ياعباس لختك جت الك في كربلا
شوفها فوگ المطيه حايره لمدلله
دنهض ابسرعه لزينب محمل الها عدله
وين غابت هالحميه وين راحت هلنفس
وصلت للنازلين او ظلت الحورا تگول
بالله دلوني على گبر الولي ونسل الرسول

هوت فوگه اوذكرته مرمي امريض بالخيول
جرت اللونه اورفعت ايدها اوضربت الراس
صاحت ابصيححه عظيمه وين سكنه والرباب
گوموا خضبوا للنواصي من دما كل الشباب
اتخضبوا من دمهم وخذوا هدايا للحباب
خاف لي جيتوا المدينه تعتب اعليكم الناس
سكنه جت اوگصدها الجاسم اوصرخت يا حسن
اخبرك زفوا الغالي اومات ما حصل كفن
خضبوه ابفيض دمه اوظل عاري ما اندفن
جثته فوگ الوطيه امريضه من غير راس
لكن اعظمهم امصيه ليلي جت متحسره
اتصيح دلوني اعلى گبر ابني اوبگت متحيره
جابهها السجاد گالت وين صاير منحره
اوجرت اللونه اوطاحت واخمدت منها لئفاس
جوا يگلبوها ولنهما مابگي فيها جلد
أم ماعدها الآ واحد تفرح ابشوف الولد
ساعه لن جسمه امعقر وانذبح طير السعد
صاحت ابصيححه عظيمه وين خواض لمراس

گوم من گبرک يبو الحسين يا حامي الحمما
وانظر اولادك اندفنوا غسلهم فيض الدما
جرت الونه الوديعه او صاحت املاك السماء
عظم الله اجرک يا من بالثرى جسمه انداس

٤- زيارة الحسين عليه السلام للشيخ عبد الحميد المرهون:

ياللي تزور احسين بلغ لي رساله
الزم ضريحه اوخل دممعك بانهااله
اوسأله صدگ داس الشمر صدره بنعاله
اوگطع اوداجه اوشال راسه فوگ عسال
يللي تزور احسين بلغ لي تحيه
الزم ضريحه اودمعتك بالخذ جريه
او سألله صدگ داست اعظامه الأعوجيه
اورضضت صدره او كسرت منه الأوصال
يللي تزور احسين خل الدمع هتان
سألله صدگ دفنوه عاري ابغير أكفان
وسألله عگب عينه اشجری ابحالة النسوان
ليكون ودّوهم سببايا فوگ لجمال
ياللي تزور احسين خل الدمع جاري
او سألله صدگ جسمك تكفن في بواري

١١٠ يوم الأربعاء

اوراسك رجع للجسد لو ظل في البراري
وين اندفن راسك ابأي بلده ياسردال
وين اندفن راسك يسردال الحريبه
في الشام لوفي كربلا لو أرض طيبه
لوفي الغري لوفي مصر والله امصيه
ما ينعرف راسك ابأي بلده ياسردال
راسك مانعرف صار في أي بلد يحسين
لكن گبر راسك وسط گلب المجين
من يندكر عندهم يهلوا دمعة العين
وترتفع صيحتهم يبن خواض لهوال
٥- يوم الأربعاء للشيخ عبد الحميد المرهون:
يوم لحد عشر مضت عن جسم اخوها اوخلته
اويوم عشرين ابصفر رجعت اوزارت حفرته
يوم عشرين ابصفر نزلوا فيافي كربلا
اوحاطوا ابگبر الولي اولدموع ظلت سايله
اوصاحت الحورا يخويه اگعد لراسك سايله
وانظر احواله اوشوف اشجری اعليه ابسفرته
شوفه اعليه ويش صار ابسفرته اوشنهو جرى
من بعد ما فارگ الجسمك امجدل بالعرا

او هو يخبرك نغل بن مرجانه دگه ابمنظره
واعظم امصيهه بيو الساعات صارت نصبته
اباب ابو الساعات نصبوه واحنا من حوله وگوف
واهل الشامات ابفرح طلوعوا امخضبين لكفوف
او من گضى ايزيد الوطر منا لفينا لك اضيوف
انزور جسمك انجيب راسك له او أنزله ابحفرته
اجواب منه ما رأت دارت لوالها النظر
نادته يا ابو محمد مني اسمع هالخبر
عادة الأشراف لازم من يعودوا من السفر
للاحباء ياخذوا تحفه اوسفرنا اشتحفته
قام ابو امحمد اودمعه فوگ وجناته سحاب
اوفي گبر لحسين حط ايده اوشب گلبه التهاب
نبح منه الدم اوگال اخذوا هدايا للحباب
واخبروا جده رسول الله ابسفرنا اوتحفته
اخذوا اوياكم هدايا للنبي وام البنين
اخذوا اوياكم هديه للسقط منها الجنين
اوگولوا الها يابتوله ذبحوا اوليدك احسين
عظم الله لك لجر بحسين حزوا رگبته

عظم الله لك لجر لحسين ما حد غسله
اوما أحد وارى الجنازه او بگت جثته امعطله
واحنا جبنالك هديه من دمه في كربلا
اتگبليها يا بتوله واندي لمصبيته

٦- جابر وعلي بن الحسين عليهما السلام للشيخ عبد الحميد المرهون:

في كربلا جابر نزل زاير للحسين
اوجت الطعينه او گابله السجاد بونين
جابر يعمي ابكربلا ذبحوا ارجالي
جابر يعمي ابكربلا نهبوا ارحالي
جابر يعمي ابكربلا شدوا اغلاي
اوشدوا عليه الجامعه او گيدوا الرجلين
جابر يعمي انداس صدر احسين بنعال
اوراسه على راس الرمح يا عمي انشال
اومن شبوا النيران ليتك شفت لطفال
فروا الى العرکه ينادوا الملتجى وين
جابر يعمي ذاب گلبسي اهل مصايب
ذبحوا ارجالي اوسيروا النسوه غرايب
والله خجاله اتسير نسوه ويا الأجانب
واعظم امصبيه ادخولها وسط الدواوين

جابر يعمي والدي گرح اجفوني
من أمر ابن ازباد جنده يسحبوني
اوفرت خواتي اوعمتي بيخلصوني
سبها اوشتمها وخلا مني الغلب شطرين
جابر يعمي دخلونا مجلس ايزيد
بالجبل مكتوفين وانا مگيد ابگيد
وگدام عيني راس ابويه اتناوله ايزيد
من شيته او كسر ثنية راس حسين
جابر يعمي ذبحوا رجالي او ولاياي
وللشام ودوني بنسواني اويتاماي
واليوم جيت الكربلا والراس وياي
جابر يعمي گوم ندفن راس حسين
جو للگبر والراس عنده وجذب حسره
شگ الگبر والراس حطه فوگ نحره
او من راد ينهض ماگدر مكسور ظهره
معذور راحت گوته امن مصاب حسين

٧- حوار الرأس والجسد الشريف للشيخ عبد الحميد المرهون:

والله مصيبه من رجع راس الشفيه
للجثة اللي رضضتها الأعوجيه

سلم عليها اوگال يالجثه اخبريني
من عگب ما گطعوا وريدي اوسيروني
اومن فوگ راس اسنان عنك شهروني
شنهو جرى يا جثي ردي عليه
گالت عگب عينك لفوني اوسلبوني
اوگطعوا يساري اوخنصري اوگطعوا يميني
اوركبوا بنات الأعوجيه اورضضوني
اوماجمعوا اوصالي ولا صلوا عليه
مرمي ثلتيام ما رحموا احوالي
حتى لفاني ابني علي او جمع اوصالي
في باريه جمع اوصالي وانحنى لي
اوشال الجنازه اودمعته ابخده جريه
هذا الجري لي وشجرا لك دشرح الحال
نادى يجثي شهروني فوگ عسال
او مثل بي ابن ازياذ مثله تشده البال
كسر ثيتي اوسمى اختي خارجيه
من فوگ منبر والدي كسر ثناي
اوضجت عليه نسوتي اوصاحت يتاماي
للشام ودوني اوخواتي كلهم اوي
اودخلوني المجلس اونسواني سبيه

بالطشت خلوني اومد ايده او اخذني
من شيبتي او بالسوط يا جثه ضربني
اومن رأت زينب شگت الجيب او بكتني
صاحت يراسي هيجت حزني عليه
يا راس اجل دخلت خواتي مجلس ايزيد
گلها نعم وابني العليل امگيد ابگيد
اوزينب اتنادي ياضياغم يا صناديد
بنت النبوه وادخل المجلس هديّه

٨- العودة إلى المدينة للشيخ عبد الحميد المرهون:

جت الظعينه گاصده أرض المدينه
فيها علي السجاد متزايد ونيه
اومن لاحت ابيوت المدينه ارتفع لصياح
اوصاروا يدگوا اصدورهم وارتفع لنياح
اونادوا يهلنا احسينكم في كربلا راح
راح الولي واحنا عگب عينه انسينا
واقبل امحمد والعبيد اشمال وايمين
شاف لاعلام اوطاح يهمل دمعة العين
اونادى انذبح لحسين واحزني على حسين
واغشي عليه وانگطع صوته اوغمض عينه

وام البنين اگبلت تلطم فوگ خدها
اتسایل علي السجاد عن خيرة ولدها
كلها اوليدك طارت ايده من زندها
وانفضخ راسه والسهم صوب اعينه
صرخت اوشگت جيها اوظلت اتنادي
يا ناس لاتلوموا ترى ذايب افادي
احسين راح اوذبحوا جملة اولادي
اوعباس منه كطعوا اشماله اويمينه
اوجت العليله والحزن بادي عليها
تلطم على خدينها اوتصفگ يديها
وصلت اوطاحت والنساء لمت عليها
النسوان حملوها اودخلوا بها المدينة
اوفتحوا الدور الموحشه اونصبوا عزاهم
وعبداللّه بن جعفر اوبن عباس جاهم
اوگبر النبي اوگبر الحسن ماج ابكاهم
اونادت الزهرا في گبرها احسين وينه
ياناس رفعوا اتراب گبري اوشيلوا احماه
باروح بيت احسين باعزي يتاماه
اوباسايل ايتامه عن اللي كسر اعضاه
يگولوا ابخيل الأعوجيه مرضضينه

الحسين في وجدان الشيعة

وحق راسك المقطوع يا شمس المضيّه
للحشر مانسى مصابك والرزيه
ننسى وسهم الصاب قلبك يا ذرانا
ذلنا وفت اقلوبنا ونكس لوانا
وتقطيع جسمك بالثرى قطع اماننا
وخيل وطت صدرك على حر الوطى
داست بين حيدر على اصدور لمحبين
وبقلوبنا اتخليك عاري اغير تجفين
وذبح الطفل نساها هذا امحال يحسين
ولا ينسى اركوب الوديعه على مطيه
يحسين كلنا نعتني لك كربلا انزور
بس ما نوصلكم وننظر ذبيح لقبور
ندخل الحاير بالحنين ولطم لصدور
وانحوم مثل الجلب لوفارق حميه
ونشوف عد رجلك علي يحسين مدفون
واتهيج زفرتنا ويقرح ماي لعيون
ونتذكر اوقوفك عليه اقلب محزون
محني الظهر واتصيح بيني قطعت بيّه

وابكل فريضة اتروح للحاير الشّيعه
ومن مشهدك تطلع وتقصد للشّريعه
اتزور لقمر لزهر أبو جفوف القطيعه
شيّال رايتكم وسور الهاشميه
وبعد الزّياره للمخيّم بالبجا انعو
بس ما نطبها اتسيل دمعتنا بلخدود
نذكر امنادى بن سعد ياقوم فرهود
حرقوا الخيم سلبوا الحريم الخارجيه
نذكر اوقوف مخدرتكم شابحه العين
للمعركه والخييل حاطت بالصّواوين
اتنادي يعدوان الله الله ابهالنّساوين
لا تروّعوها راقبوا رب البريه

زِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ

روى الشيخ رحمته الله قال: أَخْبَرَنَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ هَارُونَ بْنِ مُوسَى بْنِ أَحْمَدَ التَّلْعُكَبَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَعْمَرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعَدَةَ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ فَضَالٍ عَنْ سَعْدَانَ ابْنِ مُسْلِمٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْجَمَّالِ قَالَ: قَالَ لِي مَوْلَايَ الصَّادِقُ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ): «فِي زِيَارَةِ الْأَرْبَعِينَ تَزُورُ عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ، وَتَقُولُ: السَّلَامُ عَلَى وَلِيِّ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ، السَّلَامُ عَلَى خَلِيلِ اللَّهِ وَنَجِيِّهِ، السَّلَامُ عَلَى صَفِيِّ اللَّهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ، السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ، السَّلَامُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرْبَاتِ وَقَتِيلِ الْعِبْرَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ، وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ، الْفَائِزُ بِكَرَامَتِكَ؛ أَكْرَمْتَهُ بِالشَّهَادَةِ، وَحَبَوْتَهُ بِالسَّعَادَةِ، وَاجْتَبَيْتَهُ بِطَيْبِ الْوِلَادَةِ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّدًا مِنَ السَّادَةِ، وَقَائِدًا مِنَ الْقَادَةِ، وَذَائِدًا مِنَ الذَّادَةِ، وَأَعْطَيْتَهُ مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ، وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ، فَأَعَذَرَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَنَحَ التُّصَحُّحَ، وَبَدَّلَ مُهَجَّتَهُ فِيكَ؛ لَيْسَتْ تَقْدَ عِبَادَكَ مِنَ الْجُهَالَةِ، وَحَيْرَةَ الضَّلَالَةِ. وَقَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتُهُ الدُّنْيَا، وَبَاعَ حَظَّهُ بِالْأَرْدَلِ الْأَدْنَى، وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَغَطَّرَسَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ، وَأَسْحَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشُّقَاقِ وَالنَّفَاقِ، وَحَمَلَةَ الْأَوْزَارِ الْمُسْتَوْجِبِينَ النَّارَ، فَجَاهَدَهُمْ فِيكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا حَتَّى سُنِفَكَ فِي طَاعَتِكَ دَمُهُ، وَاسْتَبِيحَ حَرِيمُهُ. اللَّهُمَّ فَالْعَنَهُمْ لَعْنًا وَبِيْلًا، وَعَذِّبْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ
 أَمِيرُ اللَّهِ وَابْنُ أَمِينِهِ، عِشْتَ سَعِيدًا، وَمَضَيْتَ حَمِيدًا، وَمِتَّ فَقِيدًا مَظْلُومًا شَهِيدًا.
 وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ مَا وَعَدَكَ، وَمُهْلِكٌ مَنْ خَذَلَكَ، وَمُعَذِّبٌ مَنْ قَتَلَكَ، وَأَشْهَدُ
 أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ؛ فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَكَ،
 وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ
 أَنِّي وَلِيُّ لِمَنْ وَالَاهُ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُ. يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ
 كُنْتَ نُورًا فِي الْأَصْلَابِ الشَّائِخَةِ، وَالْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ، لَمْ تُنَجَّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ
 بِأَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تُلْبَسْكَ الْمُدْهَمَاتُ مِنْ ثِيَابِهَا. وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ، وَأَرْكَانِ
 الْمُسْلِمِينَ، وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ، الرَّضِيُّ الرَّكِيُّ، الْهَادِي
 الْمُهْدِي، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَأَعْلَامُ الْهُدَى، وَالْعُرْوَةُ
 الْوُثْقَى وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا. وَأَشْهَدُ أَنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ وَبِإِيَابِكُمْ، مُوقِنٌ بِشَرَائِعِ
 دِينِي وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي، وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سَلَمٌ، وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ
 مُعَدَّةٌ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَكُمْ؛ فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى
 أَرْوَاحِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ، وَشَاهِدِكُمْ وَعَائِبِكُمْ، وَظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ، أَمِيرِنَ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ. وَتُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، وَتَدْعُو بِهَا أَحَبِّتَ، وَتَنْصَرِفُ»^(١).

زِيَارَةُ الْوَارِثِ

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ
اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ
مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيِّ اللَّهِ
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ عَلِيٍّ
الْمُرْتَضَى السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ خَدِيجَةَ
الْكُبْرَى السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ وَالْوَتَرَ الْمَوْتُورَ أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ
أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَطَعْتَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ حَتَّى آتَيْتَ الْيَقِينَ فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتَكَ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتَكَ وَلَعَنَ
اللَّهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَّتْ بِهِ يَا مَوْلَايَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُورًا
فِي الْأَصْلَابِ الشَّاحِحَةِ وَالْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ لَمْ تَنْجَسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا وَلَمْ
تُلْبَسْكَ مِنْ مُدْهَمَاتِ ثِيَابِهَا وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ وَأَرْكَانِ الْمُؤْمِنِينَ
وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْبَرُّ الْتَّقِيُّ الرَّضِيُّ الرَّكِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ وَأَشْهَدُ أَنَّ الْأُمَّةَ
مِنْ وُلدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَأَعْلَامُ الْهُدَى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ
الدُّنْيَا وَأَشْهَدُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَنْبِيَائُهُ وَرُسُلُهُ آتَى بِكُمْ مُؤْمِنٌ وَبِأَبَائِكُمْ
مُوقِنٌ بِشَرَائِعِ دِينِي وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سَلْمٌ وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ
صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَعَلَى أَجْسَادِكُمْ وَعَلَى أَجْسَامِكُمْ
وَعَلَى شَاهِدِكُمْ وَعَلَى غَائِبِكُمْ وَعَلَى ظَاهِرِكُمْ وَعَلَى بَاطِنِكُمْ بِأَبِي
أَنْتَ وَأُمِّي يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ يَا بَنِيَّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ

وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَعَنَ
 اللَّهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَجَمَّتْ وَتَهَيَّأَتْ وَتَنَقَّبَتْ لِقِتَالِكَ يَا مَوْلَايَ يَا أَبَا عَبْدِ
 اللَّهِ قَصَدْتُ زِيَارَتَكَ أَسْتَلُّ اللَّهَ بِالِشَّانِ الَّذِي لَكَ عِنْدَهُ وَبِالْمَحَلِّ الَّذِي لَكَ
 لَدَيْهِ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ يَجْعَلَ لِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ السَّلَامَ
 عَلَيْكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا بَنَ نَبِيِّ اللَّهِ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا بَنَ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا بَنَ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الشَّهِيدُ
 وَابْنَ الشَّهِيدِ السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَظْلُومُ وَابْنَ الْمَظْلُومِ لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ
 وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ السَّلَامَ عَلَيْكَ
 يَا يَا وَيَّيَّ اللَّهُ وَابْنَ وَوَلِيَّهُ لَقَدْ عَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ وَجَلَّتِ الرِّزِيَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى
 جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّيْلِ مِنْهُمْ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ
 يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَأَحِبَّائَهُ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَا أَصْفِيَاءَ اللَّهِ وَأَوْدَائَهُ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَا
 أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ رَسُولِ اللَّهِ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَا
 أَنْصَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ
 الْعَالَمِينَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَلِيِّ النَّاصِحِ
 السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي طِبْتُمْ وَطَابَتِ
 الْأَرْضُ الَّتِي فِيهَا دُفِنْتُمْ وَفُزْتُمْ فَوَزَاً عَظِيماً فَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ
 فَوْزاً عَظِيماً.

فهرس المحتويات

٧	ترجمة المؤلف
٨	زينب تشكو للحسين <small>عليه السلام</small>
٨	هلال المحرم
٩	الحسين <small>عليه السلام</small> في مجلس الوليد
١٣	أربعون الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> والهدف الرسالي
١٤	محاولات تحييد نهضة الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> وتحجيمها
١٤	الأولى: دعوى أن الإمام الحسين خارج على إمام زمانه!
١٥	الأحاديث الواردة في حق الحسين <small>عليه السلام</small>
١٥	١- من آذاه <small>عليه السلام</small> فقد آذى رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>
١٦	٢- الحسنان <small>عليهما السلام</small> سيدا شباب أهل الجنة
١٦	٣- الحسين جزء من رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>
١٦	تبرير البعض قتل يزيد الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>
١٧	محاولات وأد ثورة الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>
١٧	١- شبت بن ربيعي
١٧	٢- ابن العربي
١٨	موقف ابن ربيعي وابن العربي على ضوء المنطق
١٨	النقاش في صغرى القياس
١٩	الحاكمية عند أهل السنة
٢٠	مصدر الخلافة الشرعية عند الإمامية والزيدية

١٢٤ يوم الأربعاء

- ٢١..... تساؤلات مع ابن العربي حول خلافة يزيد
- ٢١..... معاوية بن أبي سفيان ومبدأ ولاية العهد
- ٢٢..... تحقيق كون الحسين عليه السلام باغياً على إمام زمانه
- ٢٣..... دور السلاطين الأمويين وولاتهم في محق الإسلام
- ٢٣..... ١ - جرائم بسر بن أرطاة
- ٢٤..... مجزرة اليمن وبيع نساءها
- ٢٤..... ٢ - مروق الحجاج
- ٢٥..... يزيد بن معاوية؛ ثلاث سنوات بثلاث مآسٍ
- ٢٥..... الأولى: قتل سليل النبوة ووصي الرسالة
- ٢٥..... الثانية: انتهاك حرمة المدينة واستباحة المشهد النبوي المقدس
- ٢٦..... الثالثة: الاعتداء على الكعبة وحرقتها
- ٢٦..... الإمام الحسين عليه السلام يشغل أعداءه ومحبيه
- ٢٧..... أولاً: عشاق الإمام الحسين عليه السلام
- ٢٧..... ثانياً: أعداؤه عليه السلام
- ٢٨..... العباسيون وهاجس الخطر الحسيني
- ٢٨..... أساليب منع زيارة قبره عليه السلام
- ٢٩..... الأول: انتهاج أسلوب القوة في المنع
- ٢٩..... الثاني: دعوى بدعية زيارة القبور وعبادتها
- ٢٩..... الرد على هذه الدعوى
- ٢٩..... الأمر الأول: الدليل النقلي
- ٣٠..... الأمر الثاني: الدليل العملي
- ٣١..... ثالثاً: تطويق اتصال الناس بالحسين عليه السلام

فهرس المحتويات.....١٢٥

- ٣١..... رابعاً: المنع الصريح عن زيارة القبر
- ٣٢..... خامساً: فرض الضريبة المالية على الزوار
- ٣٣..... سادساً: فرض الضريبة الدموية
- ٣٤..... محبب الإمام عليه السلام ينحرون قلوبهم على ضريحه
- ٣٧..... فضل البكاء على الحسين
- ٣٨..... يوم العشرين من صفر
- ٤٠..... ترحيل السبايا والرؤوس إلى الكوفة
- ٤٣..... حديث مسلم الجصاص
- ٤٦..... في قصر الإمارة
- ٤٨..... رأس الحسين يتكلم
- ٤٩..... ترحيل السبايا والرؤوس إلى الشام
- ٥١..... في قنسرين بين الشام والعراق
- ٥٢..... في دير النصارى
- ٥٨..... على باب دمشق
- ٥٨..... في الشام وحديث الشهرزوري
- ٦٢..... في مجلس يزيد (لعنه الله)
- ٦٧..... حديث هند زوجة يزيد
- ٦٨..... يتيمة الحسين تطلب أباه
- ٦٩..... من قتل الحسين عليه السلام ؟
- ٧١..... زين العابدين يطلب حوائجه الثلاث
- ٧٢..... مدفن الرأس الشريف
- ٧٥..... رحيل الإمام زين العابدين وأهل بيته إلى المدينة

١٢٦	يوم الأربعاء
٧٦	على طريق كربلاء
٧٧	حديث جابر الأنصاري
٧٨	ملاقة آل الرسول مع جابر
٧٩	زينب والفواطم على قبر الحسين
٨٠	رحيلهم من كربلاء إلى المدينة
٨١	بشر بن حدلم
٨٢	خطبة الإمام زين العابدين قرب المدينة
٨٣	محمد بن الحنفية
٨٥	في المدينة
٨٩	ملحق: فائدة في مدفن الرأس الشريف
٩٣	الخاتمة: في نبذة من فضائل أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
٩٥	حديث الكساء
٩٩	القصائد
١٠١	يا ركباً هيماء
١٠٢	قم جدد الحزن
١٠٢	سر حثيثاً يا ركباً
١١٧	الحسين في وجدان الشيعة
١١٩	زِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ
١٢١	زِيَارَةُ الْوَارِثِ
١٢٣	فهرس المحتويات

جدد طبع الكتاب وتحقيقه وإضافة إليه بعناية

مصطفى آل مرهون

١٤٣٦ هـ